الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التـاريـخ

طرابلس الغرب من خلال كتاب التذكار لابن غلبون

مذكرة شهادة الماستر في تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

من إعداد الطالبة:

متـاش مروة

تحت إشراف الدكتور:

د. تريعة موسى

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
د. سهيل جمال	أستاذ محاضر	رئيسا
د. تريعة موسى	أستاذ محاضر	مشرفا ومقررا
أ. نواصر نصيرة	أستاذة	مناقشا

السنة الجامعية:1442-1443هـ/ 2021–2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

تشكرات

قال الله تعالى ﴿أذكروني أذكركم و أشكروا لي ولا تكفرون﴾ صدق الله العظيم

الشكر للمولى عز وجل أولا و أخيرا على ما وهبنا من صبر ورحمة وقدرة

وقال الرسول ﷺ « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » صدق رسول الله.

وعليه يطيب لنا ويشرفنا أن نتقدم بجزيل الشكر، والتقدير و الإحترام إلى

كل من ساهم في إنجاز هذا البحث وعلى رأسهم الأستاذ المشرف د.تريعة موسى

الذي تفضله بالإشراف على هذه الرسالة، وعلى توجيهاته السديدة.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى د.ز اكي معروف على نصائحه وإرشاداته.

وأتقدم بشكري إلى د.جعفري أحمد على مساعداته

كما أشكر كل الأساتذة الكرام في قسم التاريخ

وأتقدم بشكري وامتناني للسادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة،

علىقبولهم قراءة هذه الرسالة ومناقشتها تصويبا وتثمينا

وأتقدم بشكري الجزيل لكل من قدم لي عونا أو أسدى لي معروفا أثناء إعداد

هذا البحث، فأسأل الله أن يجزيهم عني خير الجزاء،

إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

3DLAT.COM

إهـــداء

إلى الذي تمنيت بشغف رؤياه وبكت عيني شوقا للقياه

وقضى ربي ألا ألقاه، فالحمد لله على ما أعطاه، والدي رحمه الله.

إلى أعزما أملك في الوجود إلى منبع الحب والحنان سر السعادة ومبعث الأمان

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي إلى أغلى الأحبة أمي حفظها الله.

إلى أخي الأكبر وقوتي في الحياة وأبي الثاني محمد حفظه الله

إلى قوتي وسندي في الحياة إخوتي عبد القادروعادل وعبد الكريم حفظهم الله

إلى من جمعتني بهم الأيام والسنوات وشاركوني كل اللحظات إلى أختي سهام

وأختي فائزة وزوجها فريد وإلى ابنتيهما وسام ورسيل منبع السعادة والفرح

إلى أختي خديجة وزوجها أحمد وأبنائها حكيم، سليم، آدم، فريال وأنفال

إلى زوجة أخي صبرينة وأبنائهم ميرة ورابح فرحة المنزل.

إلى خالتي الغالية وابنتها سعيدة

إلى من جمعتني بها الأقدار صدفة إلى صديقتي صفاء

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

مـروة

3DLAT.COM

قائمة المختصرات

الرمـــز	المعـــنى
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعريب، تعليق
تق	تقديم
ج	جزء
د.ت.ن	دون تاريخ النشر
د.ص	دون صفحة
د.م.ن	دون مكان النشر
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
ق	قرن
م	السنة الميلادية
هـ	السنة الهجرية
مج	مجلد
مرا	مراجعة

المقدمـــــة

المقدمـة

يرتبط تاريخ ليبيا (طرابلس الغرب) السياسي ارتباطا وثيقا بالتاريخ العام لشرقي البحر المتوسط وجنوبه، باعتبارها تمثل جزء هام منه، وقد شهدت طرابلس الغرب مختلف المراحل التاريخية وعاشت أهم الحضارات الإنسانية، فكان الفينيقيون هم أول من استوطنوا طرابلس الغرب أكثر من 100عام، حتى أطاح بهم الرومان، وبعدهم يأتي دور البزنطيين والوندال، ويعتبر العرب أهم من وفدوا إلى طرابلس الغرب، ويعتبر الفتح العربي الإسلامي أشد الفتوحات تأثيرا وأكثرها عمقا وخلودا في طرابلس الغرب ، فقد توطدت جذور الحكم العربي الإسلامي فيها في ظل الخلفاء الراشدين، وبعدها في ظل الحكم الأموي والعباسي، وحكم الدول المستقلة، كالأغالبة والفاطميين والصنهاجيين، وكان آخرهم الموحدون والحفصيون والإسبان وفرسان القديس يوحنا، إلى غاية الدولة العثمانية.

وكل هذه الأحداث المتعاقبة في الحكم على طرابلس الغرب اهتم بها العديد من المؤرخين من بينهم **ابن غلبون** وهو من الرواة العارفين بأحوال البلاد والشاهد على أحداث فترة حكم أحمد باشا القرمانلي، فراح يدون كتابه «**التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**» . حيث يصنف ضمن أهم المصادر المعتمدة في تاريخ طرابلس الغرب، جمع فيه المؤلف ما وصل إلى علمه مما يتعلق بطرابلس من أخبار وما تعاقبت عليها من دول إسلامية وغيرها وما وقع فيها من ثورات وحروب منذ الفتح الإسلامي إلى أواسط حكم أحمد باشا القرمانلي.

واعتمادا على هذا الكتاب و على المادة التاريخية المستخرجة منها، كان التأسيس لموضوع مذكرتنا، حول "**طرابلس الغرب من خلال كتاب التذكار لإبن غلبون**"

1. الإطار المكاني و الزماني و الموضوعي

لقد خصصنا دراستنا هذه من كتاب «**التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**» المتعلق بطرابلس الغرب، والذي تتمحور فترته الزمنية من بداية فتح طرابلس على يد عمرو بن العاص، وبقائها تحت ولاية الأمويين إلى غاية عهد الأسرة القرمانلية. وهذا ما يساعدنا على التعرف على تاريخ طرابلس الغرب خلال الحقبة التاريخية الطويلة التي تشمل العصر الوسيط والحديث.

2. أسباب الاختيار الموضوع

من دواعي اختيارنا للموضوع:

- الرغبة في التعرف على أهم ما أنجز من دراسات حول هذه الفترة، وحبنا في الإطلاع على تاريخ طرابلس الغرب وذلك لما يحتويه من أحداث تستحق الوقوف عندها و النظر إليها.
- الرغبة في التعرف على المؤرخ ونظرته حول كل ما يتعلق بطرابلس من أخبار وما تعاقبت عليها من دول إسلامية وغيرها وما وقع فيها من ثورات وحروب منذ الفتح الإسلامي إلى أواسط حكم أحمد باشا القرمانلي.
- عدم وجود دراسة متكاملة ومستقلة حسب علمي تتناول **"طرابلس الغرب"** من خلال كتاب **التذكار**، ولا ننكر وجود بعض الجهود لدراسة جزئيات في تاريخ طرابلس الغرب من خلال نفس الكتاب المذكور.
- الرغبة الأكيدة في إبراز شمولية وثراء الكتاب، ومدى أهميته كمصدر أساسي لتاريخ طرابلس خلال حقب تاريخية طويلة تشمل العصر الوسيط والحديث.

3. إشكالية الموضوع

إلى أي مدى ساهم ابن غلبون في ابراز طبيعة الحكم في طرابلس الغرب؟

واندرجت تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية:

- كيف كانت أوضاع طرابلس الغرب في فترة الفتح الإسلامي؟
- كيف كانت أوضاع طرابلس الغرب في فترة الحكم العربي؟
- كيف كانت أوضاع طرابلس الغرب تحت حكم الاسباني؟
- كيف كانت أوضاع طرابلس الغرب تحت حكم فرسان القديس يوحنا؟
- ماهي ظروف وخلفيات التواجد فرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب ؟
- ماهي ظروف وخلفيات التواجد العثماني في طرابلس الغرب ؟
- كيف كانت أوضاع طرابلس الغرب تحت حكم العثماني؟
- هل استطاعت الدولة العثمانية الوقوف في وجه المد المسيحي؟
- فيما تمثلت مميزات الحكم العثماني؟
- من هم أهم ولات وحكام كل فترة من فترات تعاقب الحكم في طرابلس الغرب؟

4. خطة الدراسة

بناءا على ما جاء في كتاب التذكار وللإجابة على التساؤلات وضعنا هيكل وخطة للدراسة بداية من المقدمة، وثلاثة فصول تمهيدي وخاتمة.

فالمقدمة عرفنا فيها بالموضوع مع وضع الخطوط العريضة لموضوع دراستنا حتى نيسر للقارئ والباحث سبيل الاستقادة من المعلومات الواردة في بحثنا، محاولين أن نشد قارئ المقدمة ونجذبه إلى إتمام قراءة باقي فصول وعناصر الموضوع.

أما بالنسبة **للفصل الأول** فكان عنوانه: التعريف بالكاتب **ابن غلبون** وكتابه **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**، ومحققه **الطاهر أحمد الزاوي**، فقسمناه إلى ثلاثة مباحث: الأول نبذة عن أبو عبد الله مُحَمَّد بن خليل غلبون الطرابلسي المصراتي، والثاني دراسة كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، والثالث الطاهر أحمد الزاوي محقق كتاب التذكار. وكل مبحث بدوره ينطوي تحته عناصر.

وبالانتقال **للفصل الثاني** الذي خصصناه للحديث عن **طرابلس الغرب قبيل التواجد العثماني من خلال كتاب التذكار (642م– 1551م)**، أي تاريخ طرابلس الغرب في عصورها الإسلامية من أول الفتح الإسلامي من يوم أن ركز عمرو بن العاص هنا راية الإسلام إلى حكم الاسباني وفرسان القديس يوحنا، فقسمناه إلى مبحثين: الأول طرابلس الغرب تحت حكم العربي، والثاني طرابلس الغرب تحت حكم الاسباني وفرسان مالطا، وكل مبحث يتضمن عدة عناصر.

أما **الفصل الثالث** والأخير المعنون بـ: **طرابلس الغرب بعد التواجد العثماني من خلال كتاب التذكار**، أي طرابلس الغرب أيالة عثمانية، وقد جاء ضمنه ثلاثة مباحث، الأول السيطرة العثمانية على طرابلس الغرب ، والثاني العهد العثماني الأول 1551- 1711م، والثالث عهد الأسرة القرمانلية. وكل مبحث يوجد تحته عناصر.

وكانت **الخاتمة و** التي جاءت عبارة عن حوصلة لما تم عرضه وتقديمه في العمل متمثلة في استنتاجات، محاولة بذلك الإجابة عن الأسئلة المطروحة في المقدمة. كما ضمنا للمذكرة قائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في العمل مرتبة ترتيبا هجائيا.

5. أهمية وأهداف الدراسة

تكمن أهداف هذه الدراسة في معرفة الأوضاع التي عاشتها طرابلس الغرب في المجال السياسي وهي تتقلب بين العدل والظلم، السلم والحرب، الفوضى والاستقرار، في ظل تعاقب الدول الكثيرة التي حكمتها. وتظهر لنا مواقف طرابلسيين من كل هذه الأحداث والدول، من خلال وجهة نظر الكاتب الذي يمثل الرأي العام أنذاك، فيبدو لنا مثلا منتصرا للعثمانيين الذين حرروا البلاد من الغزو الإسباني، ويشيد بهم وبدولتهم حينما كانت عادلة، وينتقد سياسة الظلم والفوضى التي غرقت فيها البلاد.

كما نستشف من الكتاب تعاقب فترات الحكم التي شهدتها طرابلس الغرب، منذ أول الفتح الإسلامي إلى عهد الأسرة القرمانلية ، وكون هذه الدراسة تعالج مرحلة مهمة من مراحل التاريخ السياسي لطرابلس، وجب التعرف على هذه النقاط، وبما أن موضوع دراسة من خلال كتاب تعتبر تجربة جديدة بالنسبة إلينا، أردنا إبراز أهمية الكتاب وإعطاء صورة كاملة عن الكاتب ومقارنة ما جاء في كتابه بأفكار غيره من الكتب، وتقريب وجهات النظر بين الكتابات حول هذا الموضوع.

6. الدراسات السابقة

من خلال بحثنا لم نتصادف على دراسات سابقة في الموضوع المدروس، وعدم وجود دراسة متكاملة ومستقلة حسب علمي تتناول كتاب التذكار. غير أننا وجدنا بعض الكتب تتكلم عن طرابلس الغرب في دراسات منفصلة ومجزئة.

7. المنهج المعتمد في الدراسة

إن طبيعة الموضوع فرضت علينا استعمال المنهج التاريخي التحليلي الذي يعتمد على تحليل الأحداث والوقائع وتحديدها وتفسيرها حسب كل مرحلة من المراحل، ولمنهج التاريخي الوصفي الذي يسمح لنا بعرض الوقائع التاريخية ووصفها كرونولوجيا.

8.قائمة المصادر و المراجع

اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على جملة من المصادر و المراجع والتي كان لها الدور في مساعدتنا بالإلمام بجوانب البحث ومن أهمها:

الكتب العربية:

التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار للمؤلف **أبو عبد الله مُحَمَّد بن خليل غلبون الطرابلسي**، قام بتصحيحه والتعليق عليه **الطاهر أحمد الزاوي** : وهو مصدر مهم اعتمدنا عليه بشكل كبير في هذه الدراسة، ويعتبر مصدر مهم فهو القاعدة الأساسية التي بني عليها بحثنا، استفدنا منه في كافة فصول هذه المذكرة.

كتاب **تاريخ الفتح العربي في ليبيا** للمؤلف **الطاهر أحمد الزاوي**: وهو كتاب ملم وشامل عن تاريخ ليبيا وهو كتاب متميز بصلته المباشرة بالمصادر التاريخية العربية ، برغم من أنه مختصر في الفترة الوسطية، وقد استفدنا منه في الحقبة التاريخية للفتح العربي.

كتاب **الدولة الصنهاجية** لمؤلفه **الهادي روجي ادريس**: تناول فيه تاريخ دولة بني زيري في جزئين، معتمدا على جملة من المصادر أهمها ابن الاثير وابن خلدون وابن عذاير ورحلة التجاني.

كتاب **الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس** للمؤلف **عمر مُحَمَّد الباروني**: الذي تناول فيه تاريخ طرابلس الغرب من الاحتلال الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس إلى غاية ولاية مراد آغا.

وقد استعنا بـ: كتاب **إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795– 1835م** للمؤلف **عمر علي بن إسماعيل**، وكذلك كتاب **طرابلس من 1510– 1850م** للمؤلف **كوستانزيو برينا**، وكتاب **تاريخ المغرب العربي الحديث(المغرب الأقصى_ليبية)** من تأليف **محمود علي عامر** و **مُحَمَّد خير فارس**. والتي أوضحت لنا تاريخ طرابلس الغرب من الاحتلال الإسباني إلى نهاية الحكم القرمانلي.

الكتب الأجنبية:

كتاب **الحوليات الليبية من الفتح العربي إلى الاحتلال الإيطالي 1911م** للمؤلف **شارل فيرو**، فرنسي الجنسية، ألف هذا الكتاب قبل أن يصبح قنصلا لفرنسا في طرابلس الغرب سنة

1878م، تناول فيه الحقبة التاريخية الممتدة من الفتح الإسلامي حتى سنة 1911م. والكتاب عبارة عن سرد لحقائق ثم نقلها على شكل روايات تاريخية واعتمد كثيرا في سردها على المؤرخ ابن غلبون صاحب الكتاب "الذكار"، وغيره.

كتاب **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م** للمؤلف **أتوري روسي**، إيطالي الجنسية، تناول فيه الحقبة التاريخية الممتدة من الفتح الإسلامي حتى سنة 1911م. وهو كتاب متميز بصلته المباشرة بالمصادر التاريخية العربية التي اعتمد عليها فيما يتصل بكافة الفترات الإسلامية، كما يتميز كتاب روسي بدقته وأسلوبه العلمي المنهجي، وباستيفائه لكافة الفترات. وقد كان ابن غلبون صاحب الكتاب "الذكار" مصدره العربي الوحيد في الفترة الأخيرة من العهد العثماني الأول والعهد القرمانلي والتي أضاف إليها العرض التاريخي المتعلق بصلاته بالدول الأوروبية لتكتمل الصورة التاريخية لذلك العهد.

كتب الجغرافية:

لا يمنك للباحث أن يستغني عن كتب الجغرافية، فالحدث التاريخي مرتبط بالزمان والمكان، وقد كان كتاب **معجم البلدان لياقوت الحموي** المعجم الجغرافي الضخم الذي عرف مؤلفه مناطق العالم الإسلامي شرقا وغربها، مصدرنا الأساسي في تعريف بالمدن والأماكن.

كتب الأعلام ومؤرخون:

فقد إعتمدنا على مصادر التالية: كتاب **أعلام ليبيا** للمؤلف **الطاهر أحمد الزاوي** ، وكتب المؤلف **علي مصطفى المصراتي** "**مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجهم عرض ودراسة** "، و"**أعلام من طرابلس**"، استفدنا منها في الفصل الأول من هذه المذكرة.

دراسات سابقة:

ولقد استفدت في الفصل الثالث من:

رسالة ماستر، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2016- 2017م، **الأسرة القره مانية بطرابلس الغرب (1711- 1835م) وأثرها الداخلي على ليبيا**، للباحثتين **القمري صبرينة وبابية يمينة**.

مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، ماي 2007م، **دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني 1555م**، للباحث **د. رايحه مُحَمَّد، خضير**.

9. صعوبات الدراسة

من الطبيعي أنه لا يخلوا أي بحث أكاديمي من العراقيل والصعوبات، فمن الصعوبات التي واجهتنا في دراستنا هذه:

- التعرف بالمؤلف الذي لم نجد عنه سوى تعريفات بسيط.
- أسلوب الكاتب في طرحه للموضوع صعب علينا التحكم في المادة العلمية.
- بعض المراجع تتحدث بصفة عامة.
- القصور الذي تعاني منه المكتبة الجامعية من المصادر والمراجع التي تخدم موضوعنا.

الفصل الأول: التعريف بالكاتب ابن غلبون وكتابهالتذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، ومحققه الطاهر أحمد الزاوي

المبحث الأول: نبذة عن أبو عبد الله مُحَمَّد بن خليل غلبون الطرابلسي المصراتي

أولا: مولده ونشأته

ثانيا: تعلمه ووظائفه

ثالثا: آثاره

رابعا: حادثة وفاته

المبحث الثاني: دراسة كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار

أولا: التعريف بالكتاب وأسباب تأليفه

ثانيا: منهج ابن غلبون في كتابه

ثالثا: مضمون الكتاب

المبحث الثالث: الطاهر أحمد الزاوي محقق كتاب التذكار

أولا: نبذة عن الطاهر أحمد الزاوي

ثانيا: آثاره

ثالثا: تحقيق كتاب التذكار لإبن غلبون

الفصل الأول: التعريف بالكاتب ابن غلبون وكتابه التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، ومحققه الطاهر أحمد الزاوي.

المبحث الأول: نبذة عن أبو عبد الله مُحَمَّد بن خليل غلبون الطرابلسي المصراتي

أرخ أبو عبد الله مُحَمَّد بن خليل غلبون الطرابلسي المصراتي لتاريخ طرابلس[1] من خلال مصدر له أهمية كبيرة، إذن من هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن خليل غلبون ؟ وإلى أي مدى ساهمت كتاباته في التأريخ لطرابلس؟

أولا: مولده ونشأته

الأستاذ أبو عبد الله مُحَمَّد بن خليل غلبون الفاضل المؤرخ العلامة، المحقق، هذا المؤرخ من علماء القرن الثامن عشر الميلادي كان من أشهر علماء جيله بطرابلس أيام عهد القره ماننلي ومؤسس الأسرة أحمد باشا القره ماننلي [2]. كان ميلاد أبو عبد الله مُحَمَّد بن خليل غلبون في مدينة مصراتة [3] إحدى المدن الساحلية على شاطئ طرابلس. ولم نعثر على تاريخ ولادة المؤلف ووفاته[4].

---

[1] طرابلس: مدينة قديمة فينيقية وقيل أنها أنشئت في عهد قرطاجنة، وكلمة طرابلس ينطق بها الطرابلسيون هكذا "طرابُلس" و"طرابُلْس" و"أطْرَابُلُس" بهمزة قبل الطاء وبضم الباء واللام، وهذا الاسم العربي الصحيح الذي جاء في جواب عمرو بن العاصالذي كتبه بعد الانتهاء من فتحها سنة 22هـ، وأطرابلس تعريب لكلمة تريبوليتانوس الرومية التي كانت تطلق عليها زمن الفتح الإسلامي، والتي تفيد معنى المدن الثلاثة: لبدة، أطرابلس وصبراتة، ووجود السين في أطرابلس يدل على ذلك، وقد اعتاد العرب في فتوحاتهم أن يغيروا الكلمات التي يثقل عليهم النطق، وفي كتب التاريخ العربية التي ألفت قبل العهد التركي مثل ابن خلدون والتجاني كانوا يذكرونها "طرابلس" بدون إضافتها إلى الغرب وهذا يدل على أن إضافتها إلى الغرب طرأت عليها في العهد التركي لمناسبة وجود طرابلس أخرى في الشام وكانت تحت نفوذهم ودفعا للاشتباه أضافوا طرابلسنا إلى الغرب فأصبحت يقال لها "طرابلس الغرب". أنظر: ابن غلبون الطرابلسي ، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، عني بتصحيح وتعليق الطاهر أحمد الزاوي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، ليبيا، مارس 2004م، ص17- 19.

[2] أحمد باشا القره ماننلي: تولى الحكم يوم الثلاثاء جويلية 1711م، وكانت مبايعته بالإجماع وكان عمره يقارب الخمسة والعشرون ويعتبر عهده أحسن عهود الأسرة القرمانلية في طرابلس، في أخر أيامه أفلتت منه زمام الأمور فمات منتحرا بعد أن أفرغ مسدسه في بطنه 4 نوفمبر1745م. انظر: الطاهر أحمد الزاوي ،ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد العثماني، دار الفتح، ط1، 1970م، ص223- 224.

[3] مصراتة: أو مسراتة تقع في الزاوية الشمالية الغربية لليبيا.

[4] الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، ط3، بنغازي، ليبيا، مارس، 2004م، ص 332.

وينسب ابن غلبون إلى أسرة غلبون تلك الأسرة التي نبتت منبت الرياسة والفضل، وهي من عنصر عربي عريق يرجع عروبته إلى آل سالم [1]، بطن من بني سليم، كانوا يقطنون مصراتة ومسلاتة [2]. ويظهر لي أن ابن غلبون ينحدر من الأندلس فإننا نجد في هذا اللقب صياغة أندلسية وعلامة التعظيم والتفخير كانت عند أهل الأندلس (ون) تضاف إلى آخر اللقب وأخذها الأندلسيون عن لغة الأسبان ولهذا نجد كثيرا من ألقاب الأدباء والشعراء والعلماء الأندلسين على هذه الصياغة وبذلك الشكل. زيدون ...حمدون...سرحون...سحنون ...و أيضا غلبون ولا نجده في الشرق... وهذا من خصائص أهل الأندلس. وان كان أندلسيا كما يظهر إلا أنه عربي قح كما أشار ابن خلدون عند الكلام على (آل سليم). موطنهم مصراته ورئاستهم في أولاد مرزوق.

ثانيا: تعلمه ووظائفه

كانت دراسته الأولية وتكوين لبناته العلمية في مدينة مصراتة. ثم توجه وهو شاب إلى رحاب الجامع الأزهر وأخذ عن الأستاذ عبد الرؤوف البشبيشي والأستاذ عبد الله السوسي . وعاد إلى بلده مصراتة عام 1133هـ-1720م، كما أشار في ثنايا كتابه التذكار. وله مواقف في الإصلاح الاجتماعي ومجابهة السلطة الحاكمة في صراحة العلماء وحزم المؤمنين وجراءة أهل الكرامة. وقد تنم عن شخصية قوية ورأي أصيل، وتحرر فكري. وهو عالم، مدرس، فقيه فاضلا واسع العلم مؤلفا صوفيا واعظا، لا يكتفي بحلقة الدرس وشرح تعابير الفقهاء ومصطلحات الأصول و التفرعات بل هو يهتم بدراسة التاريخ الذي شغف به واطلع على كثير من مصادره ومراجعه[3].

وقد امتاز ابن غلبون بصراحة في رأي وجرأة في الفكر وغضبه لله عندما ياسر بالمعروف وينهي عن المنكر. عاصر أحمد باشا القره مانلي مؤسس الاسرة القرماه مانلية وحاكم طرابلس في زمنه وكان أثيرا عنده. مقربا إليه يسمع الحاكم لرأيه ويقبل استشارته ويكرم وفادته ويحسن منزلته ويغدق عليه من

[1] آل سالم: قد ذكر ابن خلدون عنهم هم بطن من بني سليم " إن مواطنهم بلد مصراتة ومسلاتة، ورياستهم في أولاد مرزوق، وكانت في أوائل المائة الثامنة لغلبون ابن مرزوق، واستقرت في بنية، وهي اليوم لحميد بن سنان بن عثمان بن غلبون" 1هـ. ولا يزال لهذه الأسرة نسل يحفظ ما كان لها من فضل وأدب وهو الأستاذ الشيخ أحمد. أنظر: ابن غلبون الطرابلسي ، المصدر السابق، ص 10-11.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، المصدر السابق، ص 332.

[3] علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجهم عرض ودراسة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 25 أغسطس 1976م، ص 125.

إكرامه وكان أيضا ابن غلبون سفيرا وشفيعا بين العلماء وطلاب العلم وبين أحمد باشا القره مانلي، يعرض مطالبهم ويدفع المظالم عنهم، وعندما تكاثرت الضرائب على أهل العلم كان وسيطا لإسقاطها عنهم وإزالتها عن كاهلهم[1].

وله وقفات مشرفة في إنكار المنكر بماله وجاهه، فقد أذن عامل مصراتة في زمانه بتقطير الخمر من النخل المسمى "اللاقبي" فعارضه الأستاذ في ذلك، ووعظه قائلا: "إن هذا لا يسعكم في دين الله" فلم يسمع لقوله، فذهب إلى ملتزمي لبيع الخمر وأعطاهم ما دفعوا من مال وكفوا عن بيعه، ولم يكتف بهذا بل ذهب إلى الوالي أحمد باشا القره مانلي، ورجاه في عدم بيع الخمر فقبل رجاءه، لما له من المكانة عنده، وعزل عامل مصراتة[2].

ويمتاز أيضا بأنه نقاد له صراحة ظاهرة في نقده وحرية في بسط فكره ويدلنا على هذا موقفه مع علماء من زملائه فعندما ألف الشيخ علي بن عبد الصادق كتابه في الفتاوى "سماء التذيل". تصفح ابن غلبون الكتاب وعلق عليه بصراحة وقال (أنه زعم أنه ذيل به المعيار وجمع فيه الغث والسمين شيئا لم يسبق به) وكان يلوم صاحب (الفتاوى) على اعتماده في مؤلفاته على أقوال العامة و النقل بدون تحر وكان دفاع على ابن عبد الصادق عن نفسه إزاء نقد ابن غلبون، أنه كان يريد حفظ مسائل العلم خوف الضياع وهو جواب لم يرضي ابن غلبون الناقد العالم[3].

كان يكره البدع ويحارب المستنكرات ويطرد من الشريعة كل الشوائب والعوائق التي تشوه جوهر الشرع الحنيف. وكان بينه وبين المبتدعة وأهل الخرافات، جولات وصولات، ومحاجات ومناظرات أفحمهم وألجمهم. ومن مناظراته مدار بينه وبين الشيخ التاجوري في تاجوراء[4] وقد سجل المناظرة في كتابه، ففي إحدى ليالي سنة 1139هـ- 1726م كان متوجها إلى طرابلس فنزل في تاجوراء وفي مدرستها الدينية بعد العشاء أطبق عليه الشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري بمناقشات حادة ومجادلات عنيفة فقد كان ابن غلبون يستنكر بعض تصرفات التاجوري ويراها منافية للشريعة وأصول الدين والكتاب والسنة وكانت مناورة مقصودة ومأزقا دبره التاجوري وتخلص منه ابن غلبون بحكمة

[1] علي مصطفى المصراتي، أعلام من طرابلس، مطبعة ماجي طرابلس الغرب، ليبيا، ط1، 1955م، ص124- 125.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، المصدر السابق، ص 332.

[3] علي مصطفى المصراتي، أعلام من طرابلس، المصدر السابق، ص 126.

[4] تاجوراء: مدينة من مدن طرابلس الغرب القديمة ما زالت تعرف بهذا الاسم وتقع في الجنوب الشرقي من طرابلس. للمزيد أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، دار الاتحاد العربي للطباعة ط1، تونس، 1968م، ص75.

العالم واتزان المتدبر الحكيم ولكنه لم يستسلم بل دافع عن آرائه وفند آراء الغير [1]. وألزمه الحجة. ولما سقط في يد الشيخ التاجوري التجأ إلى التعصب وقال: "هذه طريقة مشايخي لا يسعني تركها كائنة ما كانت"[2].

هذه الحادثة تعطينا صورة من حياة ابن غلبون وما كان يلاقيه من تعنت وجدال عنيف من أهل زمنه ومع هذا ما كان يلين إلا للحق ولا تكون الصداقة حائلا بينه وبين النقد الصريح والرأي الحر كما صنع مع صديقه ابن عبد الصادق الذي نقد كتابه سنة 1138هـ- 1725م.

ثالثا: آثـاره

وشأن ابن غلبون شأن العلماء يترنمون ببعض الشعر ، فله قصائد وصلت إلينا منها أبيات مدح بها أحمد القره مانلي وان كانت قصائده لا تصل إلى درجة الشعر الجيد فما كان شاعرا أخلص للشعر وإنما كان ينظم أحيانا على طريقة زمنه و بأسلوب عصره[3].

هذا ابن غلبون من عودته كرما لدفع حادثة قد جاء يرجاكا

ابن غلبون قد أتى من بعيد زائرا حسن ظن قد دعاه

أحب ابن غلبون التاريخ وخاصة تاريخ طرابلس حبا جما تملك عليه حواسه فأخذ يجمع ويضم ويبحث عن الجذاذات والقصاصات والمخطوطات ويفصل ويبوب ويلم أشتات الأخبار عن العالم والإعلام وينقل ويراجع ويهمس ويعلق حتى كان من نتيج ة هذا كتابه **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار** الذي يعد عمدة ومرجعا في تاريخ هذا البلد في عصوره الإسلامية العربية.[4]

وفي غير المجال التاريخي يكون لابن غلبون نشاط في مجال التأليف في علم الفلك وعلم الفرائض والمواريث وكان أيضا شارحا، ومن الشرح كمدرس يجد منطلقا واتساعا في التعليق والإبانة والشرح. فقد شرح ابن غلبون نظم ابن سعيد السوسي في علم الفلك. وهو كتاب ألفه ابن غلبون بعد تأليفه للتذكار بأمد من الزمن. وكان علم الفلك يدرس أسلوب تلك الأعصر دراسة نظرية وعملية مما كانت تسمح به ظروفه في حدود إمكانياته. وكان ابن غلبون من مدرسي هذا العلم ويدرس الجداول والمنازل

[1] علي مصطفى المصراتي، أعلام من طرابلس، المصدر السابق، ص125-126.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، المصدر السابق، ص 332.

[3] علي مصطفى المصراتي، أعلام من طرابلس، المصدر السابق، ص126.

[4] نفسه، ص 124.

ويعمل مزولة في المسجد والمدرسة التي يدرس بها ويشرف عليها. وكان كتابه في الفلك أو شرحه لتلك المنظومة مصدرا اعتمد عليه عالم ليبي آخر عندما ألف في الفلك هو الشيخ قنونو الزليطني والذي صب معلوماته الفلكية في قالب نظم أيضا. وألف ابن غلبون في علم القراءات والمواريث أيضا شرحا، وعلى طريقة السجع في العناوين قدم للناس والطلاب العلم (تحفة الأخوان البهية في المقدمة الرحبية)[1] ولا تزال مخطوطة إلى الآن ولعل له رسائل أخرى مندثرة ضائعة[2].

ودلت دراساته هذه على اهتمامه بعلوم الحساب والفلك والمواقيت والمواريث والفرائض، وهذه الأمور المتعلقة بالفقه من ناحية وبعلوم الرياضيات من ناحية أخرى. وكانت رسالته في علم الميراث على ما يبدو في أواخر عمره، وأما كتابه في التاريخ فقد كتبه في فترة نضجه وازدهار شبابه وأثناء تطلعه وطموحاته العلمية.

رابعا: حادثة وفاته

سافر ابن غلبون إلى فزان [3] يوم أن كان السفر إلى فزان قطعة مزدوجة. من العذاب كان في مهمة. وأيضا يظهر في تلك السفرة اتجاهه العلمي من ناحية، وموقف المصلح صاحب الرسالة من ناحية أخرى. فهو عالم له موقف وهو صاحب الرأي و التصرف ومجابهة الحاكم ويقول (لما سافرت إلى بلد فزان حرسها الله من كل حاسد وباغض وشيطان. ذاكرت فيها نبذة من الزمان طلبة أجلاء محبين وإخوانا، وجلت وترددت وخضت وبحثت ورأيت علم الفرائض وما يتعلق به قد غار ماؤه بلا ارتياب لتشعب مسالكه وتوقفها على الحساب...إلخ.)

وكان من دوافع هذه الرحلة الشاقة و السفرة البعيدة آنذاك إلى فزان أنه عين عاملا من طرف الحاكم وساعيا لأ خذ وجلب الزكاة الشرعية من أهل تلك الأصقاع. وكان من تصرف ابن غلبون وحزمه أنه أخذ الزكاة المفروضة شرعا من الأغنياء ولكنه عندما شاهد البؤس والفاقة المتفشية والهياكل البشرية الجائعة، وهذه الأيدي المحتاجة إلى الإعانة قام بتوزيع جانب مما جمعه على هؤلاء المحتاجين

[1] علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا، المصدر السابق، ص129- 130.

[2] علي مصطفى المصراتي، أعلام من طرابلس، المصدر السابق، ص 126.

[3] فزان: ولاية واسعة بين الفيّوم وطرابلس الغرب، وهو في الإقليم الأول، وعرضه إحدى وعشرون درجة، قيل سمّيت بفزّان بن حام بن نوح عليه السّلام، بها نخل كثير وتمر كثير، ومدينتها زويلة السّودان، والغالب على ألوان أهلها السّواد أنظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م، ج4، ص260.

الجائعين بدل أن يجلبها إلى مقر الحاكم بمدينة طرابلس [1]. وهذا ما قرره الشرع أخذ من الأغنياء وإعطاء للفقراء المحتاجين، وهذا ما قام بصنعه هذا العالم المتمكن. وتجول من بلد إلى بلد ومن منطقة إلى منطقة، وعاد إلى مقر الحاكم بلا مال وافر مجلوب، بل بألم مضن وتصور يؤرق مضجعه وعندما سأله الحاكم؟

- أين أموال الزكاة؟ وبماذا قدمت علينا؟ وأين الأموال التي أمرتك بجمعها؟

أجابه ابن غلبون بجواب فيه أصالة الرأي وأصالة العالم الحازم.

- أخذناها ممن وجبت عليهم ودفعناها لمن وجبت لهم، وهذا ما بقي منها.

وكان تصرفا لم يعجب الحاكم المتربع في قصره وقال في نبرة غاضبة ولهجة باشوية مخاطبا ابن غلبون.

- ما أمرتك بهذا. وإنما أمرتك بجمعها وجلبها والإتيان بها إلى بيت المال.

وأجابه ابن غلبون في جرأة وصراحة بلا تلعثم ولا تردد.

- إن بيت المال خزانة للفقراء وقد وجدناهم محتاجين لذلك المال، فلا يجوز خزنه وتركهم جياعا.

وقال الحاكم:

- إنك رجل متصلب.

وهناك لم يسكت الشيخ ولم ينكث برأسه بل رفع صوته ورفع رأسه شامخا قائلا في اعتزاز ومجابهة.

- الصلابة في الحق أمر واجب.

هي صدمة للحاكم ولعتوه، وأثارت مكامن الغضب منه فقال:

- إنك لم تعمل بأمري ولم تخضع للومي فأخرج من ملكي وحكمي.

وأجابه ابن غلبون في جرأة أكثر وصراحة تحكي قوة الحجة وعمق الإيمان

- ميز لي ملكك وملك الله لأخرج من ملكك وأبقى في ملك الله.

[1] علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا، المصدر السابق، ص130.

عندئذ غضب عليه ونفاه إلى فزان وهي تعتبر من المنافي البعيدة منذ أزمان سحيقة فهل بقي ابن غلبون هناك حتى وفاته؟ أم عاد إلى مصراتة وطرابلس؟ ترى أم دبرت له مكيدة حتى قتل.

فقد قيل أن الحاكم دبر إغتياله، ولا يبعد فلقد كان هذا الحوار وهذا الموقف واعتقاله مما لا يتحمله الحكام الظلام.

إن موضوع نفيه وموضوع نهايته أمر يحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث والاستقصاء والمقارنة، وهل هو الذي انتقد أحمد باشا بعد أن كان متقربا إليه، ويطلب منه تأليف شرح على قصيدة تاريخية ويلبي طلبه، ثم ينقلب عليه. أم الذي نفاه غيره من الباشوات؟ إنها أمور تحتاج إلى تريث في الإجابة وبحث يسنده الدليل. ولكن الثابت المؤكد هو جرأة ابن غلبون وصلابته وغضب الحاكم عليه وتحديه له سواء كان هذا الحاكم والي باشا أو والي متصرف[1].

[1] علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا، المصدر السابق، ص131- 132.

المبحث الثاني: دراسة كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار

أولا: التعريف بالكتاب وأسباب تأليفه

ألف ابن غلبون كتابه **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار** وبناه على قصيدة وجعله شرحا لها. فما قصة القصيدة؟ ومن ناظمها؟. إنه الشاعر الأديب "أحمد بن عبد الدائم الأنصاري"[1] ومع الأسف لم نعثر على ترجمة وافية له وهو من أبناء طرابلس وقد كان غيورا على بلده وقد كان سبب إنشاء القصيدة أن "العبدري" [2] مر بطرابلس واجتمع مع قاضي البلد مُحَمَّد بن عبد السيد. ووجد العبدري فرصة يتناقش فيها مع القاضي، ولكن النقاش صاحبه حدة وشدة ولم يوافق العبدري على أراء قاضي طرابلس بل بلغ جو النقاش حد التوتر بين الاثنين وغضب العبدري ووصف القاضي بأنه: "ضيق الخلق، قصير النظر، صاحب شكاسة، ولا رواية له، بل لم يكتف العبدري بهذا سامحه الله، فوصف طرابلس الغرب بأقبح النعوت، والأوصاف وذمها وشنع عليها ونقص من قدرها." فانبرى له الشاعر الأديب عبد الدائم الانصاري، بقصيدة طويلة تبلغ 29 بيتا ذكر فيها محاسن طرابلس وفضائلها وبعضا من أدبائها وعلمائها ومنزلتها في التاريخ الإسلامي، وكان من شعره دفاع حار يفيض من قلب مواطن غيور، ومن أبياتها

أرى زمنا قد جاء يقتنص ألمها بلا جارح والأسد في فلواتها

رأى القيض مبيضا بمزبلة الحما فقال كفاني انه من صفاتها

طرابلس لا تقبل الذم انهـــــا لها حسنات جاوزت سيئاتها

ويمضي ابن عبد الدائم معددا مآثر قومه وساردا فضائل بلاده مدافعا في حرارة وإخلاص[3]. وكان الشاعر معاصرا لأحمد باشا القره مانلي وقد أثنى عليه ومدحه في آخر القصيدة. وهناك مسألة

---

[1] أحمد بن عبد الدائم الانصاري: العلامة الفقيه، المؤرخ، المحسن الظريف، كان يضرب به المثل في ظرفه وفصاحته وصلته لأقاربه، وإحسانه إلى الفقراء وكان حافظا للتواريخ الإسلامية والأخبار الملوكية، غاية في الذكاء والفطنة والعقل الراجح، كان يقول: "لي معرفة بسبعين حكمة، وعمري الآن ينيف على الخمسين سنة، ولم يسألني واحد من أهل طرابلس عن واحدة منها، ومن جملتها استخراج الماء من الأرض حتى يصعد إلى قمتها بغير مشقة"، كان من رجال القرن الثاني عشر للهجرة. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، المصدر السابق، ص80. وأنظر أيضا: ابن غلبون الطرابلسي، المصدر السابق، ص 14.

[2] العبدري: أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي بن مسعود الشهير بالعبدري صاحب الرحلة المعروفة باسمه إلى الحج. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط2، بنغازي، ليبيا، 2002م، ص24.

[3] علي مصطفى المصراتي، أعلام من طرابلس، المصدر السابق، ص129- 130.

جديرة بالتساؤل أو البحث، هل العبدري الذي ذم طرابلس ورد عليه ابن عبد الدائم هو العبدري الرحالة المغربي؟ هذا ما يذهب إليه كثير وأشار إليه طابع كتاب ابن غلبون مع أن هذا خطأ وهي غلطة تاريخية فإن العبدري المغربي كانت رحلته سنة 688هـ بينما كان العبدري الذي ناقش عبد السيد القاضي والذي رد عليه الشاعر متأخرا جدا عن التاريخ ثم أن الشاعر يرد على معاصر ويوجه الخطاب إلى موجود في زمنه وكان سنة 1140هـ، وما حواليها وقد يقول قائل يجوز أن يكون الشاعر الطرابلسي رد على العبدري بعد قرون وهذا جائز في لغة الأدب وأسلوب الشعر ولكن ماذا تقولون في دليل آخر يؤكد أن العبدري المردود عليه ليس هو العبدري الرحالة المغربي. بدليل أن عبد الدائم يوجه الخطاب إلى رجل شرقي جاء من الشرق لا العبدري المشهور وهو مغربي واسمعه يقول:

فجاءتك يا شرقي تسعى فراعها فكن منصفا ثم أجن من ثمراتها

فيستخلص من هذا أن العبدري الذي تصدى له الشاعر غير العبدري المغربي وما أكثر العبادرة في ثنايا التواريخ والكتب[1].

ثانيا: منهج ابن غلبون في كتابه

وقد تناول تاريخه التطورات و التقلبات والأحوال بصورة موجزة مختصرة، ولكنه اختصار وإيجاز يفيد ولا يخل دائما. وقد كان في تاريخه سهلا في السرد واضحا في العرض وقد تلمس فيه روح الدارس العالم. فهو يغربل ويصفي ويسبك والتاريخ كصناعه وفن يحتاج إلى غربلة ومقارنة وسبك وإذا خلا من الروح العلمية كان ضربا من النقل الجاف والسرد الممل، ولكن هذا لا يمنع من أن نشير إلى أنه قد ينقل بعض الخرافات ويسطر بعض الأساطير مثل قصة دق الياقوت على الطعام وكون طرابلس خالية من "السكين" عندما غزاها الأسبان أنها قصة التاجر الذي استضاف بعض البحارة الأسبان ثم كان سبب غزو البلاد، خرافة نقلها ابن غلبون ثم أخذها منه فيما بعد النائب المؤرخ وصدقها كثيرون، ومرجع هذه الخرافة إلى المرحوم العياشي في رحلته فمنها أخذها المؤرخون مع أنها ظاهرة في وضعها وقلما يخلوا التاريخ من خرافات وأساطير[2].

وميزة ابن غلبون بالنسبة إلى غيره من مسجلي التاريخ أنه كان مستعملا المنهج العلمي والمنطق وأسلوب المقارنة والاستنباط في كثير من المواضع، عندما يسرد الحوادث ويسجل الوقائع ولو بمقدار

[1] علي مصطفى المصراتي، أعلام من طرابلس، المصدر السابق، ص 131.

[2] نفسه، ص 128.

نستطيع أن نصنفه من النوع الجدلي وليس مجرد ناقل سارد. وله بشكل ما في بعض الإطارات أسلوب الاستقصاء و الاستنباط والتناسق، ولا يكتفي كمؤرخ عالم بمجرد السرد و ببغائية النقل أو غوغائية الحكايات، بل له أسلوب الناقد الفاحص الدارس. والنقد لدى ابن غلبون ظاهرة أو أسلوب قد جر عليه صنوفا من المتاعب وألوانا من المصاعب في حياته سواء مع الحاكم المتصرف عندما ينتقده، أو عند العامة أو مدعي العلم من المنتفعين بالأوساط العامية. فهو من نمط الجدلي المحاور، من أعلى القمة في السلطة الحكم وحتى من عامة الناس يلاقي كل ذلك بالمواجهة الصريحة الجريئة ولعل حكايته مع الحاكم الباشا الذي كان على أوثق الصلات به وأمتنها في أول الأمر، حتى وهو في مطاوح الغربة والهجرة العلمية ثم حدث القتور ووقوع التوتر والابتعاد بسبب بعض الأفراد أو بعض من المتسلطين الوشاة[1].

وقد ترجم ابن غلبون لعلماء بلاده وأدبائها وبلغت الترجمات حوالي 33 علما ولكنها مقتطفات وأسطر مقتضبة معدودة تفيد الدارس ولكنها لا تشفي غلة الصادي وليته أطنب في هذه الناحية الهامة التي فقدنا جوانب كثيرة منها. وهذه الصفحات التي سطرها براعة تدل على سعة اطلاع وغزارة مادة ولكنه أحيانا يستطرد إلى البحوث اللغوية والصرفية وفلسفة الألفاظ وقد يجنح به الاستطراد إلى ذكر حوادث من التاريخ لا صلة لها بتاريخ طرابلس ومرجع هذا إلى أن المؤلف كان شارحا لقصيدة. وشرح القصائد من طبعهم الاستطراد والإفاضة في شتى أنواع الثقافة الإسلامية فهو شارح عالم لغوي مؤرخ وصنع مثل ما صنع صاحب سرح العيون على رسالة ابن زيدون[2].

يدل على اطلاع واسع وفهم لخفايا التاريخ ويدل على منهجه العلمي ونظرة جادة موضوعية بعيدة عن السريلات وتمويهات المبالغات، وهو لا يستند إلى الشطحات الخرافية سيما في المناقب والتراجم.

ثالثا: مضمون الكتاب

وقد ألف ابن غلبون كتابه هذا بعد عودته من مصر بحوالي اثني عشر عاما 1732م، عندما كانت صلته لا تزال طيبة ووثيقة بالحاكم. بأحمد باشا القره مانللي، بل أشار المؤلف في مقدمته أن أمير المؤمنين وهو اللقب الذي كان يشير به إلى أحمد باشا، قد أشار عليه وطلب منه أن يشرح

[1] علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا، المصدر السابق، ص 128.

[2] علي مصطفى المصراتي، أعلام من طرابلس، المصدر السابق، ص 128.

قصيدة أحمد بن عبد الدايم الأنصاري، الذي كان قد رد بهذه الق‍صيدة على تهجمات الرحالة المغربي العبدري وكان شرح ابن غلبون لهذه القصيدة كتابا تاريخيا لطرابلس وأحوالها وأدوارها وأطوارها من العهد الإسلامي الأول إلى عهد أحمد باشا.

وقد ظل كتاب ابن غلبون حقبا من الزمن تائها مغمورا ومطمورا ورحل إلى هنا وهناك وتناقلته أيدي عديدة بين شرقية وغربية حتى وصل به المقام وألقى عصا التيار إلى باريس في احد مخازنها، وكان المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا [1] أحد وجهاء المصريين ومن عظماء القاهرة، شغوفا بالنوادر والمخطوطات الإسلامية وشاهد هذا الكتاب الغريب في مخزن باريس فأخذ صورة فوتوغرافية له سنة 1344هـ وكان مكتوبا بخط مغربي ونقل الصورة إلى مكتبته بالقاهرة. حتى طبعت سنة 1349هـ في القاهرة. ولولا نسخة باريس لما طبع هذا الكتاب ولضاع هذا الأثر[2].

وقد جاء عن الطاهر أحمد الزاوي أنه قال أضيفت إليه نبذة تتعلق باحتلال الأسبان وفرسان القديس لطرابلس لم يذكرها المؤلف. ولطول هذه النبذة لم أجعلها تعليقا، بل أدخلتها في صلب الكتاب ونبهت على زيادتها في بدايتها ونهايتها، لئلا تلتبس على القارئ بأنها من الأصل[3].

ولان ابن غلبون كان في عصره ازدهار للبحرية الطرابلسية وكان للبلاد أسطول وطني فإنه يختم كتابه بفصل عن إدارة الحكم وما يلزم للحاكم. ثم بفصل عن الجهاد والرباط والمحافظة على الثغور و الشواطئ وهذان الفصلان لا صلة لهما بالتاريخ أو على الأقل بتاريخ البلاد فهما فصلان سرد فيهما أحاديث وآيات وآداب الشريعة في هذا الميدان ولكن لهما كل الصلة بالشعور الوطني والدفاع المقدس، ولم يطبع هذان الفصلان. وخرج كتاب ابن غلبون مقصوص الذيل وكان بودنا أن يطبع كما هو "طبق الأصل" وهذا ما يجب إزاء المخطوطات وكل اثر علمي قديم يجب أن يخرج للناس كما وضعه المؤلف وكما حبره صاحبه. يعد كتاب **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار** من أهم وأصدق مصادر تاريخ ليبيا في عصورها الإسلامية وفترة العهد العثماني الأول بالذات[4].

---

[1] العلامة أحمد تيمور باشا: من الأعلام المعاصرين ولد سنة 1871م في بيت وجاهة وتلقى علومه في مدارس عربية وفرنسية، وقد اقتنى مكتبة حافلة بالمخطوطات و المطبوعات توفر على دراستها والتعليق عليها وهي إلى اليوم تعد من أغنى المكتبات الخاصة، وقد توفي سنة 193م. أنظر الطاهر أحمد الزاوي، المصدر السابق، ص26.

[2] علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا، المصدر السابق، ص126-127.

[3] ابن غلبون الطرابلسي، المصدر السابق، ص 32.

[4] علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا، المصدر السابق، ص 127.

وقد اعتمد ابن غلبون في تاريخه على مصادر متنوعة. و اعتمد ابن غلبون في تاريخه على "البكري" و"التيجاني" و"ابن بطوطه" من الرحالين ونزهة المشتاق في اختراق الأفاق للإدريسي الجغرافي و "النيساني" في يومياته، وأيضا ابن عبد الحكم وابن الأثير من المؤرخين وكتاب آخر أشار إليه في ثنايا كتابه ودثر مع الأيام ذلك هو تاريخ البهلول ابن حسين بن احمد وأشار ابن غلبون إلى انه نقل عن خط المؤلف وهذا اثر من الآثار الضائعة [1]، و ابن خلدون. واعتمد على مشاهدات الرحالة من الحجاج أثناء ذهابهم إلى المشرق. ولعل من أقيم المصادر مشاهداته الشخصية، والروايات المعاصرة له، والأحداث التي عاشها المؤلف وشاهدها عن كثب. مما يدل على صلابة الموقف وحدة النقد العلني، وكرامة أهل العلم. وانتقد ابن غلبون معاصريه لم يجامل صديقا ولم ينافق حاكما متصرفا. وانتقد معاصريه أمثال التاجوري عندما ألف ذيل المعيار في الفقه المالكي، وانتقد علي بن عبد الصادق مع أنه على صلة طيبة به، وأيضا ترجم لهما في كتابه التاريخي هذا، ولم يهملهما مع عزوفه عن ترجمة كثيرين من المعاصرين ولكن بالأمانة العلمية أشار حتى لمن كان لا يتفق معه في الرأي العلمي والاتجاه الفكري. ولكنه لم يشحن كتابه بكل ما سمع أو نشر وذاع في محيطه في عالم الترجمة والنقولات، من مشافهات الرواية أن موضوعية ومنهجية ابن غلبون شيء لا يقبل جدلا ولا تصل إليه شائبة من الارتياب[2].

وقد تناول ابن غلبون فيه تاريخ طرابلس في عصورها الإسلامية من أول الفتح الإسلامي من يوم أن ركز عمرو بن العاص هنا راية مُحَمَّد بن عبد الله إلى زمن أحمد القره مانلي، وحتى سنة 1150هـ- 1737م. وفي هذه السنة تقريبا انتهى المؤلف من كتابه[3].

[1] علي مصطفى المصراتي، أعلام من طرابلس، المصدر السابق، ص 127.

[2] علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا، المصدر السابق، ص128- 129.

[3] علي مصطفى المصراتي، أعلام من طرابلس، المصدر السابق، ص 127.

المبحث الثالث: الطاهر أحمد الزاوي محقق كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار

أولا: نبذة عن الطاهر أحمد الزاوي

ولد سنة 1890م بالحرشا إحدى قرى مدينة الزاوية بطرابلس الغرب، تربى في كنف والده أحمد، وحفظ القرآن في جامع سيدي علي بن عبد الحميد بالحرشا على يد أستاذه مُحَمَّد بن عمر الصالح، وأخذ مبادئ علومه على أشياخ من أسرة "البشتي"[1]، حيث تلقى الفقه على شيخه الطاهر بن عبد الرزاق البشتي والشيخ أحمد بن حسين البشتي، وحضر حلقات الأجرومية على يد الشيخ الطيب بن مُحَمَّد بن عبد الرزاق البشتي، شهد معركة الهاني في 26 أكتوبر 1911م. وفي بداية سنة 1912م سافر إلى الأزهر لإتمام دراسته هناك حيث أخذ الفقه عن الشيخ أحمد الشريف والشيخ علي الجهاني المصراتي والشيخ حسن مذكور، وأخذ النحو عن الشيخ علي الجهاني المصراتي، والتفسير والحديث عن الشيخ محمود خطاب والشيخ يوسف الدجوي، والأصول عن الشيخ الدسوقي العربي.[2]

بعدها عاد إلى طرابلس في أوت1919م، وعاصر حركة الجهاد التي نقل أخبارها إلى الباحثين في مؤلفه "جهاد الأبطال في طرابلس الغرب" شارك في وفد الإصلاح بين الزنتان والبربر في 1920م، ووفد الدعوة في جوان 1922م إلى أجدابيا لدعوة السيد إدريس لزيارة منطقة الجهاد في طرابلس، ووفد لدعوة أولاد أبي سيف والزنتان للاشتراك في الجهاد في جويلية 1923م، وفي 1924م خرج إلى مصر حيث كان مقر حكومة المجاهدين، والتحق بالأزهر مرة ثانية في جوان 1924م، وفي هذه السنة بدأت حركة الجهاد في الجبل الأخضر كما اشتغل بالصحافة خلال الفترة التي قضاها بمصر(1912- 1919م)[3]. حيث كتب العديد من المقالات الدينية والسياسية التي نشرها في صحيفة الأخبار، التي كان يصدرها أمين الرافعي وصحيفة الفتح التي كان يصدرها محب الدين الخطيب، مثلما نشر في غير هاتين الصحيفتين مقالات عن قضية بلاده وما كانت تمر به من أحداث، وربط علاقات ودية مع شخصيات بارزة من أمثال الأمير عمر طوسون، ومُحَمَّد الصالح

[1] أسرة البشتي: من الأسرة الليبية التي عرفت بالعلم والتعليم، وكان لرجالها أثر بارز في نشر المعرفة وتوسيع دائرة المتعلمين، ولهم في مدينة الزاوية الغربية زاوية تعرف باسمهم زاوية "الأبشات". أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، المصدر السابق، ص9.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، نفس المصدر، ص9- 10.

[3] زاوي أحمد وميادة رشيد، الطاهر أحمد الزاوي وإسهاماته في كتابة تاريخ طرابلس الغرب (1890-1986م)، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المجلد 17، العدد: خاص، جانفي2022 م، ص 865.

حرب، وأمين الرافعي، وعبد الرحمان عزام وغيرهم، وأسس رفقة مجموعة من أصدقائه بمصر في أكتوبر 1943م اللجنة الطرابلسية التي كانت تنادي بمايلي:

- اعتبار القطر الليبي وحدة لا تتجزأ من حدود مصر إلى الحدود التونسية، ومن البحر الأبيض المتوسط إلى حدود السودان.
- مناهضة السياسة الاستعمارية.
- العمل على جعل السياسة الليبية جزء من سياسة الجامعة العربية.
- المطالبة بالاستقلال التام، والوحدة الشاملة التي لا شرط ولا قيد فيها.[1]

كما كتب في نفس الفترة كتاب "عمر المختار"، وفي سنة 1938م أخذ شهادة العالمية من الأزهر[2]، وتجنس بالجنسية المصرية في أفريل1940م، قبل أن يتم توظيفه بوزارة الأوقاف المصرية في ماي من نفس السنة والتي بقي فيها إلى غاية 1953م. كما اشتغل بتصحيح الجرائد والكتب في المطابع المصرية، ووظف بعدها مدرسا بالمملكة العربية السعودية في المدينة المنورة فيما بين(1955-1957م) وبعدها التحق بمطبعة عيسى الحلبي سنة 1958م، وقد عاش بمصر 43 سنة (1924-1967م) بعيداً عن وطنه حتى بعد استقلال ليبيا وتولي الحكم من طرف الملك إدريس السنوسي الذي كان قد رفع ضده قضية أمام النيابة المصرية بسبب ما عبر عنه من مواقف في كتابه" عمر المختار "رغم صدوره باسم مستعار، وفي 1967م حصل على رخصة لزيارة ليبيا بواسطة السيد فتحي الخوجة والذي بفضله حصل أيضاً على إقامة خاصة لعشر سنوات، وفي 1969م تم السماح له بالإقامة الدائمة مع استرجاع جنسيته الليبية[3]. توفي الشيخ الطاهر أحمد الزاوي في 05 مارس 1986م.

ثانيا: آثـاره

ترك الطاهر الزاوي من ورائه آثار قيمة في الفكر والثقافة جمع فيها بين السياسة والتاريخ، وبين الشرح والتحقيق والضبط والتعليق، وكلها جهود تنم عن همته في البحث، ويمكن أن نقسم هذه الآثار من الناحية الدراسية الشكلية إلى قسمين بارزين:

[1] زاوي أحمد، مياد رشيد، المرجع السابق، ص866. أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، المصدر السابق، ص16.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، المرجع السابق، ص15.

[3] الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دارف المحدودة، ط3، لندن، 1984م، ص532.

قسم التأليف والجمع وتندرج فيه الكتب التالية: "جهاد الأبطال في طرابلس الغرب" و "عمر المختار" و "أعلام ليبيا" و "تاريخ الفتح العربي في ليبيا" و "ولاة طرابلس" و"معجم البلدان الليبية" و"جهاد الليبيين في ديار الهجرة".

وقسم آخر يدخل فيه عمله في الشرح والتحقيق والضبط والتعليق، وذلك فيما نطالعه في نشره لهذه الكتب "تاريخ ابن غلبون"، "ديوان أحمد البهلول"، "الضوء المنير المقتبس في مذهب الإمام مالك بن أنس"، "مجموعة فتاوى"، "ترتيب القاموس"، "مختار القاموس"، "الكشكول"، "النهاية في غريب الحديث"[1].

ثالثا: تحقيق كتاب التذكار لإبن غلبون

هذا الكتاب(المحقق)صدر في طبعته الثالثة سنة 2004م بالاتفاق مع نجل الزاوي، وقد احتوى على 327 صفحة أما محتوياته فقد جاءت على شكل عناصر مرتبة زمنيا من الفتح الإسلامي إلى غاية تولي أحمد باشا القرمانلي، بدأه بتعريف الكتاب والكاتب ثم انتقل إلى تحقيق فصول الكتاب جزءاً جزءا من بداية الفتح العربي لبرقة إلى غاية نهاية العهد القرمنلي، وكان يضع في الهامش ملاحظاته وإضافاته لما جاء في المتن والتي كانت أحيانا تأخذ نصف الصفحة وأحيانا أخرى جلها مثل ما نجده في الصفحات (272- 276) التي وضع فيها بعض ملاحظاته وذكر مصادرها، مثلما وضع في نفس الجزء مقدمة يسيرة (241- 244) عن حكم الأسرة القرمنلية والتي اعتمد في تحريرها على كتاب طرابلس الغرب تحت أسرة القرمانلي "للمؤرخ رودلفو ميكاكي قدم خلالها خلاصة عن أهم مميزات هذا العهد، وأوضح في نهايتها أنها من زياداته على المؤلف.[2]

ومما تميز به هذا الكتاب هي مجموعة التراجم التي سطرها ابن غلبون في كتابه وهي تراجم للعلماء الطرابلسيين، كما تضمن أيضا تعريف لبعض الأماكن والمواقع والبلدان، وكل هذا الذي أورده ابن غلبون في كتابه هو في الحقيقة جاء شرحا لقصيدة الشيخ ابن عبد الدائم الأنصاري الطرابلسي التي دفع بها الذم والانتقاص اللذين رمى بهما طرابلس الرحالة أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي بن مسعود الشهير بالعبدري صاحب الرحلة المعروفة باسمه إلى الحج[3].

[1] الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، المصدر السابق، ص19- 20.

[2] زاوي أحمد، مياد رشيد، المرجع السابق، ص876- 877.

[3] الطاهر أحمد الزاوي، عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا، المصدر السابق، ص24.

بدأه المحقق (الزاوي)بالتعريف بصاحب الكتاب، وأهمية الكتاب في التأريخ لطرابلس الغرب، حتى أصبح مصدرا يأخذ منه الكثير من الطرابلسيين سواء الذين رحلوا لتحصيل العلم أو من تعلم في طرابلس، ولا يزال مصدرا في غاية الأهمية بالنسبة للباحثين في تاريخ طرابلس الغرب، ثم يضيف خلال تقديمه لهذا الكتاب أن هذا المخطوط قد أصابه الإهمال، فقد بقي مطمورا بين الكتب في رفوف أو صناديق المكتبات مدة قرنين من الزمان إلى أن قيضه الله تعالى أيام أن كان بالأزهر الشريف طالب علم سنة 1348هـ، تمكن من الحصول عليه عن طريق أحمد تيمور باشا المعروف باعتنائه بالعلم وجمعه للكتب الإسلامية، والذي كان يحوز نسخة مصورة بالتصوير الشمسي عن النسخة المتواجدة بخزانة باريز، ثم يضيف أنه لم يتمكن من الحصول على نسخة ثانية غير نسخة تيمور باشا خلال فترة تحقيقه له[1]، على الرغم من وجود ثلاثة مخطوطات إحداها في طرابلس بمكتبة الأوقاف، والثانية في استانبول والأخرى في باريز وهي التي حصل عليها [2]. وهذه النسخة مكتوبة بخط مغربي جميل ولكنها كثيرة التحريف، ولا أدري إن كان هذا من تعاقب أيدي النساخ عليها فمسخوها أو أنها مسودة المؤلف وتناولتها الأيدي قبل أن تبيض[3].

قام الشيخ الطاهر الزاوي بنسخ هذه المخطوطة التي انكب على تحقيقها وتقويمها وتصحيحها مستعينا بما توفر له من كتب التاريخ[4]، فاستعان بتاريخ ابن خلدون وتاريخ النائب"المنهل العذب" في تصحيح بعض كلمات وتواريخ، واقتصرت على تغيير بعض الكلمات أو تقديمها بعضها على بعض، وزيادة كلمة أو كلمتين مما لا يغير المعنى، وترك كثيرا من الكلمات كما هي خوفا من الوقوع فيما لا يريده المؤلف، وقد نبه على أكثر ما أصلحه أو كان غير مفهوم، ووضع الزيادة بين هاتين العلامتين [ ]، وقد كان الأصل متصلا بعضه ببعض من أوله إل آخره، فعنون حوادثه ووضع فيه فواصل عند انتهاء كل جملة، وأوائل سطور عند ابتداء الكلام لتمييز المعاني وتقريبها إلى ذهن القارئ [5]، قبل أن ينشر الكتاب في حلته الجديدة في القاهرة، عن مطبعة المكتبة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب سنة 1349هـ، 1930م والذي سرعان ما نفذ من السوق وأصبح نادراً وعز على الكثير من

[1] الطاهر أحمد الزاوي، نفس المصدر، ص24.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، المصدر السابق، ص27.

[3] ابن غلبون الطرابلسي، المصدر السابق، ص6.

[4] الطاهر أحمد الزاوي، عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا، المصدر السابق، ص25.

[5] ابن غلبون الطرابلسي، المصدر السابق، ص6.

المهتمين وجوده إلى أن طبعه للمرة الثانية بعد أن أعاد المحقق النظر فيه واستكمل ما كان فيه من نقص بعد الاطلاع على مصادر تاريخية كثيرة لم يتمكن من الوصول إليها حين كان يعمل على تحقيق الكتاب أول مرة، وكذلك بعد تمكنه من الاطلاع على نسخة كانت محفوظة بخزانة مكتبة الأوقاف بجامع سيدي حمودة سنة 1965م. وتمتاز هذه الطبعة بأنها صارت أكمل وأوثق، بعدما استدرك الشيخ الطاهر الزاوي ما فاته فيها وما سها عنه في الطبعة الأولى، والذي تولت نشره مكتبة النور بطرابلس سنة1386هـ، 1967م[1]. فقد اضاف إلى مقدمة الطبعة الأولى شيئا يتعلق بوصف أطرابلس يوضح ما كانت عليه في عهودها القديمة، وأضاف نبذة تتعلق باحتلال الاسبان وفرسان القديس لطرابلس لم يذكرها المؤلف، وقد نبه على زيادتها في بدايتها ونهايتها، لئلا تلتبس على القارئ بأنها من الأصل. وأضاف في آخره خاتمة مختصرة في حكام الأسرة القرمنلية التي كان موجودا في أول عهدها، واعتمد في هذه الخاتمة على كتاب "طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمنلي" لرودلف ميكاكي، تعريب الأستاذة طه فوزي. كما أضاف إليه "تاريخ أسرة الجبالي الطرابلسية" وهي أسرة ذات شأن في طرابلس لم يتعرض لها المؤلف مع أنه عاصر بعض أفرادها، مع هوامش كثيرة في مواضيع مختلفة[2].

[1] الطاهر أحمد الزاوي، عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا، المصدر السابق، ص25.

[2] ابن غلبون الطرابلسي، المصدر السابق، ص32-33.

الفصل الثاني: طرابلس الغرب قبل الحكم العثماني من خلال كتاب التذكار

المبحث الأول: طرابلس الغرب تحت حكم العربي

أولا: أول الغزوات نحو طرابلس: حملة عمرو بن العاص 22هـ -642م.

ثانيا: طرابلس الغرب تحت حكم بني زيري خلفاء الفاطميين

ثالث المغامرون في طرابلس الغرب

المبحث الثاني: طرابلس الغرب تحت حكم الاسباني وفرسان مالطا

أولا: النفوذ الإسباني في حوضي المتوسط

ثانيا: الحملة الإسبانية على طرابلس واحتلالها

ثالثا: العهد الإسباني في طرابلس الغرب

رابعا: تحول في السياسة الإسبانية في طرابلس الغرب

خامسا: تنازل الإسبان عن طرابلس الغرب إلى فرسان مالطا

سادسا: حكم فرسان مالطا في طرابلس الغرب

المبحث الأول: طرابلس الغرب تحت الحكم العربي 642– 1510م

أولا: أول الغزوات نحو طرابلس: حملة عمرو بن العاص 22هـ –642م

من خصائص رسالة الإسلام أن كانت للناس كافة لقوله تعالى :﴿ **وَما أَرسلْناكَ إِلّا رحَمةً للْعالمِينَ**﴾ [الأنبياء 107][1] فما إن استتب الإسلام في الجزيرة العربية حتى خرجت الجيوش الإسلامية إلى العراق والشام ومصر، كان طبيعيا أن تتجه الجيوش الإسلامية لفتح بلاد المغرب بعد أن كان لها فتح مصر، وهذا لعدة اعتبارات، ومنها أن اضطرت الضرورة الحربية والي مصر عمرو بن العاص[2] إلى التوجه بنظره نحو إقليم برقة لتأمين قاعدة الفسطاط الجديدة والحفاظ على المكاسب العربية في مصر ولدفع ما قد يظهر من مشروعات بيزنطية ترمي إلى استرجاع مصر عن طريق طرابلس وبرقة[3].

1. فتح برقة 22هـ –642م

كان فتح عمرو بن العاص لبرقة سنة 22هـ –642م، نظرا لتخوفه من احتمال مهاجمة الروم للمسلمين من المغرب[4]. كما أن عمرو بن العاص أدرك ما كانت عليه برقة التي يحكمها الروم ولهم فيها سلطان قوي كذلك كانت تربط أهل برقة علاقات قوية بأهل مصر إلى درجة تداخل القبائل في بلاد المغرب بأهل مصر بصلة النسب و المصاهرة، وقد رأى عمرو بن العاص أن يعجل بفتح برقة باعتبارها جزء من مصر وأن فتحها إتمام لفتح مصر وتأمين لمصر من هجمة مفاجئة من الروم[5].

نظرا لما يتسم به عمرو بن العاص من الحذر جعله يعجل باستطلاع إقليم برقة وهذا بإرسال الطلائع لجمع الأخبار و التقارير عنه[6]، ويبدو أن عمرو بن العاص قد اطمأن إلى تقرير عقبة بن

---

[1] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 107.

[2] عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي يكنى أبا عبد الله و قيل أبو مُحَمَّد، وأمه النابغة بنت حرملة، سبية من بني جلان بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنترة، أخوه لأمه عمرو بن أثاثة العدوي وعقبة بن نافع ، أسلم عمرو سنة 8هـ وقد أسلم عند النجاشي. أنظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن الحزم، ط1، بيروت، 2012م، ص 942.

[3] موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981م، ص18.

[4] مُحَمَّد مُحَمَّد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، (د،م،ن)، (د،ط)، 1990م، ص18.

[5] محمود السيد، الفتوحات الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د،ط)، 2007م، ص61.

[6] مُحَمَّد مُحَمَّد زيتون، المرجع السابق، ص18.

نافع[1] على بلاد برقة[2]، فعجل يسير جيوشه لفتحها[3]، وهي أول فتح عنوة بأرض المغرب بعد صلح أنطابلس وهي برقة، بعد أن قدم عليهم بعد فراغه من فتح الاسكندرية [4]، فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برقة فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية[5] على أن يبيعوا من أحبوا من أولادهم في جزيتهم، ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج إنما كانوا يبعثون بها إذا جاء وقتها[6]، وقيل أن عمرو بن العاص صالح أهل أنطابلس على الجزية بعد أن حاصرهم وقاتلهم عليها، وكتب لهم بذلك كتاب[7].

أورد حسين مؤنس في كتابه "**فتح العرب للمغرب**"، أن بربر برقة أرسلوا رسلا للفاتح العربي يعرضون عليه الدخول في الإسلام، فرحب بهم كما أنهم قبلوا ما فرض عليهم من جزية ، فكانوا يبعثون الجزية طائعين مختارين لا يرسل إليهم جابي[8].

ووجه عمر بن العاص عقبة بن نافع[9] حتى بلغ زويلة[1]، فافتتحها بصلح وصار مابين زويلة وبرقة وبرقة سلما للإسلام[2].

---

[1] عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث بن عامر بن فهر القرشي الفهري، أخوه لأمه عمرو بن العاص، ولاه إفريقية لما كان على مصر، إفتتح عامة بلاد البربر "لواتة ومزاتة في سنة 41هـ، غدامس في سنة 42هـ، ودان" وهو الذي بني القيروان في زمن معاوية. أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ص 858.

[2] برقة: بفتح أوله والقاف: اسم سقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وافريقية، واسم مدينتها أنطابلس، وهي كلمة رومية معناها بالعربية "خمس مدن". أنظر :ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، مج1، ص388، وأنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدار الإسلامي، ط4، بيروت، لبنان، 2004م، ص36.

3 عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د،ط)،1999م، ص56.

4 ابن غلبون، المصدر السابق، ص44.

[5] الجزية: هي أحد الموارد المهمة لبيت المال وهي تعني لغويا:الجزاء، أي المكافأة أو القضاء أو خراج الأرض، أو ما يؤخذ من الذمي، وهي موضوعة على الرؤوس، واسمها مشتق من الجزاء. أنظر: علي حسين الشطشاط، دارسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار قباء، القاهرة، 2001م، ص113.

[6] ابن غلبون، المصدر السابق، ص47- 48.

[7] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص35.

[8] حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية ، الإسكندرية،(د،ط).(د،س،ن)، ص 54- 55.

[9] عقبة بن نافع: بن عبد القيس بن عامر بن أمية، شهد فتح مصر و ولي المغرب لمعاوية و هو الذي بنى القيروان، قتله البربر بتهودة من ارض المغرب سنة 63 هـ، أنظر: ابن يونس الصدفي، تاريخ المصريين، تحقيق عبد الفتاح فتحي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000 م، ص 344 -345.

2. فتح طرابلس 22هـ -642م

كان فتح طرابلس يستلزم جيشين، أحدهما يسير بحذاء الساحل، بقصد الإستيلاء على طرابلس ومايليها من مدن ساحلية، والثاني يتجه نحو الداخل حيث الواحات الداخلية التي تؤلف مركز المقاومة في قلب البلاد، والتي لو تركت وشأنها لقطعت على المسلمين خط العودة، وأهم هذه الواحات فزان، فسير عمرو بن العاص عقبة بن نافع إلى فزان ففتحها، ثم واصل زحفه حتى بلغ زويلة، وبهذا أمن عقبة بن نافع المنطقة الممتدة بين برقة و زويلة[3].

وعليه جهز عمرو بن العاص قوتين رئيسيتين: قوة انتهجت الطريق الساحلي نحو طرابلس ومايليها من المدن الساحلية، وقوة فرعية وجهها إلى المناطق الصحراوية الجنوبية، وأنيطت قيادتها إلى عقبة بن نافع وذلك لتأمين المناطق الداخلية حتى زويلة ولمنعها من أي عمل من شأنه أن يعيق تقدم القوات الساحلية[4].

سار عمر بن العاص حتى نزل طرابلس في سنة 22هـ فنزل القبة على الشرف من شرقيها [5] المعروفة اليوم بمنطقة "الشعاب" الواقعة على بعد مسيرة نصف الساعة من هذه المدينة [6]، فحاصرها شهرا لا يقدر منها شيء، فخرج رجل من بني مدلج من عسكره متصيدا في سبعة نفر، فأخذوا ضفة البحر، وكان البحر لاصقا بالمدينة ولم يكن بين المدينة والبحر سور، فنظر المدلجي وأصحابه فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ووجدوا مسلكا لها، فدخلوا حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا

---

[1] زويلة: بفتح الزاي وكسر الواو، مدينة من مدن فزان القديمة، وتقع في الجنوب الشرقي من مرزق بنحو 150كم، ويعبر عنها بعض المؤرخين بزويلة السودان احترازا عن زويلة افريقية التي بناها عبيد الله المهدي بقرب تونس، وكانت زمن الفتح الإسلامي عاصمة فزان بدل مرزق. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص39.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص48. أنظر أيضا: حسين مؤنس، المصدر السابق، ص58، وأنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص40.

[3] عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص58.

[4] عبد الواحد ذنون طه وخليل إبراهيم السمرائي وناطق صالح مطلوب، تاريخ المغرب العربي، المدار الإسلامي، بيروت، (د،ط)، 2004م، ص56.

[5] ابن غلبون، المصدر السابق، ص48.

[6] شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة وتحقيق: د. مُحَمَّد عبد الكريم الوافي، جامعة قان يونس، ط3، بنغازي، 1994م، ص53.

فأقبل عمرو بن العاص بجيشه و دخل المدينة وغنم ما كان بها[1]. إن المقاومة التي لقيها الجيش العربي عند طرابلس لم تتعد تحصن أهل البلد خلف أسوار المدينة ومحاصرة العرب لهم ثم اهتداؤهم إلى خلو المدينة من الأسوار من ناحية البحر، واقتحامهم إياها، ثم فرار من استطاع من الروم إلى سفنهم[2].

كان فتح طرابلس الغرب هو أول الفتوحات الإسلامية في المغرب [3]. أورد حسين مؤنس في كتابه **"فتح العرب للمغرب"**، أنه تتوارد أخبار فتح طرابلس في جميع المراجع على نسق واحد، وقد أورد كل ما ذكره ابن الحكم، ابن خلدون، ابو المحاسن البلاذري، التيجاني...[4].

عجل عمرو بإرسال بعث إلى صبرة [5] قبل أن تنقضي أيام على استيلائه على طرابلس، لما فتح فتح عمرو طرابلس، جند جندا كثيفا من ليلته وأمرهم بسرعة السير إلى صبرة وهم غافلون، وقد فتحوا أبوابها لسرح ماشيتهم، فدخلوها، فلم ينج منهم أحد. وغنموا ما فيها وعادوا إلى عمرو بن العاص إلى برقة. ولما استولى عليها عمرو هدم سورها وارتحل عنها لشروس [6] مدينة نفوسة فافتتحها[7]. ولا ندري هل فتحت صلحا أو عنوة لأننا لم نر أحدا ذكر ذلك[8].

بعد فتح صبرة عمل عمرو بن العاص على الإستمرار في الفتح إلى ما يليها غربا، فاستعصت عليه حصونها، إذ صار عدد الجيش غير كاف لمثل هذه المهمة، إذ أن هذه الحصون كانت تابعة لحاكم إفريقية "جرجير" الذي حصن مدنه لسماعه انتصارات المسلين في برقة وطرابلس[9].

---

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص49- 50. أنظر أيضا: حسين مؤنس، المصدر السابق، ص61.

[2] حسين مؤنس، المصدر السابق، ص63.

[3] شارل فيرو، المرجع السابق، ص53.

[4] حسين مؤنس، المصدر السابق، ص61.

[5] صبرة :أو سرت و هي السوق القديمة متواجدة في ساحل طرابلس، أنظر: ابن غلبون، المرجع السابق، ص50.أنظر أيضا: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المرجع السابق، ص184.

[6] شروس: اسم مدينة قديمة في جبل نفوسة المعروفة بالجبل الغربي، أهلها اباضية، وبين شروس وطرابلس خمسة أيام. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص51.

[7] ابن غلبون، المصدر السابق، ص50-51. أنظر أيضا: حسين مؤنس، المصدر السابق، ص64.

[8] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص60.

[9] عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار الفكر، ط1، عمان، 2010م، ص25.

على إثر ذلك كتب القائد الإسلامي عمر وبن العاص إلى الخليفة عمر رضي الله عنهم، يخبره بما فتح الله على المسلمين، ويطلب منه المدد، ويستأذنه في فتح إفريقية، لكن الخليفة منعه من الإستمرار في الفتح محافظة على أرواح المسلمين[1].

أورد الطاهر الزاوي في كتابه"تاريخ الفتح العربي"،أن عمرو بن العاص قبل أن يغادر شروس استأذن الخليفة عمرو بن الخطاب لفتح إفريقية فقال: **"إن الله فتح علينا طرابلس، وليس بيننا وبين افريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يفتحها الله على يديه فعل"**

فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهاه عن فتحها بقوله: **"ما هي بإفريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت"**[2].

يجدر بالذكر أن عمرو بن العاص قفل عائدا الى مصر من مدينة شروس وهكذا نفهم أن هذه المدينة هي آخر ما وصل إليه عمرو بن العاص في أول مرحلة من مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، و قبل أن يعود الى مصر عين عقبة بن نافع حاكما على برقة، ولم يذكر أحد أن عمر برك من ينوب عنه في طرابلس أو في صبراتة، أو في شروس، أو زويلة[3].

ثانيا: طرابلس الغرب تحت حكم بني زيري خلفاء الفاطميين

ظلت ولاية طرابلس تحت حكم الأمويين مزدهرة حتى سنة 132هـ- 749م، وكان عبد الرحمن بن حبيب[4] هو آخر أمراء هذه الأسرة التي حكمت طرابلس. وهو الذي أمر في سنة 132هـ ببناء التحصينات التي كانت تحمي مشارف هذه المدينة من جهة اليابسة، بعد أن كانت قد انهارت تماما. وبموته الذي وقع خلال نفس السنة، انتقلت جميع البلدان الخاضعة للإسلام إلى يد هارون الرشيد الذي عين كوال لطرابلس هرثمة بن أعين الهاشمي الذي أسبغت إدارته الحكيمة على البلاد حقبة من الرخاء. وهو الذي أمر في سنة 180هـ-796م ببناء أسوارها الدفاعية من جهة البحر[5].

---

[1] عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، (د،ط)،1968م، ج1، ص108.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص60.أنظر أيضا: حسين مؤنس، المصدر السابق، ص68.

[3] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص61.

[4] عبد الرحمن بن حبيب: بن عبيدة بن عقبة بن نافع، كان من فرسان العرب وشجعانهم، حارب في الاندلس سنة 123هـ ورجع منها إلى تونس سنة 127هـ واستولى على القيروان سنة 129هـ وتغلب على افريقية كلها، واستقل بها عن الأمويين، توفي سنة 138هـ قتله ابن أخيه في مبارزة كانت بينهما. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص51.

[5] شارل فيرو، المرجع السابق، ص53- 54. أنظر أيضا: ابن غلبون، المصدر السابق، ص51.

وظلت طرابلس تحت حكم العباسيين حتى سنة 279هـ- 909م، وخلال حكم هذه الأسرة المالكة، ظلت إدارة هذه الولاية توكل باستمرار إلى ولاة معينين من قبل الخلفاء[1].

وخلال هذه الفترة أسس عبيد الله المهدي بن مُحَمَّد بن قداح الشيعي دولة العبيديين الفاطمية [2]. كما عمت بلدان المغرب خلالها قلاقل أوقعتها في أيدي أمرائها الجدد والعبيديون، الذين أدت سياستهم المشئومة. فيما يقول ابن غلبون: إلى إثارة حفيظة الناس ضدهم، قد صاروا ممقوتين على الخصوص ابتداء من ولاية القائم بأمر الله [3]، الذي فاقهم جميعا في استبداده إذ أنه قد ذهب حتى إلى حد شتم المسلمين علانية، بل ولم يتوان حتى عن إضافة الصفات الإلهية على نفسه. وبموته اعتلى العرش بعده ابنه المنصور اسماعيل[4]، ومن بعده جاء ابنه المعز لدين الله[5]، وقد استولى هذا الأخير على على مصر وأسس القاهرة التي جعلها عاصمة لملكه. وبعد أن أوكل إدارة طرابلس الغرب و تونس إلى

[1] شارل فيرو، المرجع السابق، ص53- 54.

[2] الدولة العبيدية: أو دولة العلويين، أو دولة الفاطميين، هي دولة شيعية تعظم أهل بيت النبوة وتنتسب إليهم وتنتصر لهم وتغالي بعض أفرادها في تعظيمهم إلى درجة لا يقرها الدين الإسلامي ولا العقل السليم أسسها عبيد الله المهدي سنة 296هـ، دامت إلى سنة 567هـ، وبقيت في الحكم 269 سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما، منها 64 سنة وشهر في إفريقية، والعبيديون: ينسبون إلى أول خلفائهم وهو عبيد الله المهدي بن مُحَمَّد الحبيب بن جعفر المصدق بن مُحَمَّد المكتوم ابن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق، وهو عراقي ولد بالكوفة سنة 260هـ، واختبأ في بلدة سلمية بؤرة الإسماعيلية الباطنية في شمال الشام، ومن يوم أن ولد إلى أن استقر في سليمة كان يعرف باسم سعيد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن ميمون القداح. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص181، 184-185.

[3] القائم بأمر الله: مُحَمَّد بن عبيد الله المهدي كنيته أبو القاسم ولقبه القائم بأمر الله، ويقال أن إسمه نزار، عهد له أبوه المهدي بالأمر من بعده وتولى بعد وفاة أبيه. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص194.

[4] المنصور اسماعيل: هو أبو الطاهر اسماعيل بن القائم المهدي العبيدي الباطني صاحب المغرب تولى الخلافة بعد والده، توفي سنة 341هـ ومدة ولايته سبعة أعوام ونصف شهر. أنظر: د.علي مُحَمَّد الصلابي، الدولة الفاطمية، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، الفاهرة، 1427هـ-2006م، ص67.

[5] المعز لدين الله: هو معد بن اسماعيل المنصور، وكنيته أبو تميم ولد بالمهدية سنة 319هـ عهد له والده بالخلافة بعده، ويقال بويع له في حياته وجددت له البيعة بعد وفاته، وفي 341هـ جلس على سرير الملك وهو الخليفة الفاطمي الرابع وكان عالما فاضلا جوادا منصفا وهو أول خليفة من العبيديين ملك مصر. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص197.

أحد أعوانه، قام بجعل أثيره يوسف بن زيري [1] حاكما لهاتين الولايتين. ولقد دأب يوسف بن زيري ومن خلفه على إنزال جميع ضروب الظلم والجور بالناس، بحيث وقع سكان إفريقيا الشمالية –الذين فرض عليهم بنو زيري تأليههم– في أقصى درجات الهوان والإذلال. وقبيل نهاية سنة 540هـ-1145م اندثرت سلالة يوسف بن زيري مع تولي المعز بن باديس، وظلت تحت سيطرة العبيديين طيلة بقائهم في الحكم [2]. وفي أثناء إمارتهم على إفريقية استولى على طرابلس بنو خزرون الزناتيون [3]، ووقعت بينهم وبين الصنهاجيين حروب كثيرة[4].

1. ولاية المعز بن باديس

لقبه شرف الدولة، نودي به أميرا سنة 406هـ بعد وفاة أبيه بثلاثة أيام، وعمره ثماني سنوات وأربعة أشهر[5]، لما استولى المعز بن باديس بن المنصور بن يوسف بن زيري بن مناد، فأول ما افتتح به شأنه وثبت به دعم سلطانه أذية الرافضية أشياع بني عبيد خفية، فانتهى أمر المعز في أذية أتباعهم حتى بدأهم بالقتل وصرح بلعن بني عبيد على المنابر[6].

وقال د.علي مُحَمَّد الصلابي في كتابه **"الدولة الفاطمية"** أن المعز بدأ حملات التطهير للمعتقدات الكفرية ولمن يتلذذ بسب أصحاب رسول الله ﷺ فأوعز للعامة ولجنوده بقتل من يظهر الشتم والسب

---

[1] أبو الفتوح يوسف بلكين بن زيري بن مناد بن منقوش الصنهاجي أصبح واليا أو أميرا لكل بلاد إفريقية، وهو أول حاكم لبلاد المغرب من أصل بربري بعد الفتح الإسلامي، كان متفانيا في خدمة العبيديين وتوسيع أملاكهم، وهو مؤسس الدولة الصنهاجية. أنظر: د.علي مُحَمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص93.

الدولة الصنهاجية: نسبة إلى صنهاجة وهي قبيلة بربرية من قبائل البربر ذات الشهرة والمكانة الكبيرة في إفريقية، وكانت تناصر العلويين ولذلك كانت محل ثقة المعز لدين الله، وقد حكمت إفريقية 182سنة من 361 إلى 543هـ، وتولاها 8 أمراء من آل مناد أولهم بلكين بن زيري آخرهم الحسن بن علي، وفي سنة 406هـ انقسمت الدولة الصنهاجية إلى قسمين: شرقية عاصمتها القيروان، وغربية عاصمتها قلعة بني حماد. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص205.

[2] شارل فيرو، المرجع السابق، ص54. أنظر أيضا: ابن غلبون، المصدر السابق، ص52- 56.

[3] بنو خزرون: أسرة بربرية نسبها في زناتة، وقد حكموا طرابلس حوالي 150سنة، وأول حاكم منهم عليها هو فلفل بن سعيد تولاها سنة 391هـ، وآخر حاكم منهم عليها مُحَمَّد بن خزرون وطرد منها سنة 540هـ، وقد صفا لهم الجو بعد أن سافر المعز لدين الله إلى مصر، فاستقلوا بطرابلس وتغلبوا على ما كان بينهم وبين العبيديين من صعوبات، أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص210.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص56.

[5] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المرجع السابق، ص221-222.

[6] ابن غلبون، المصدر السابق، ص56. أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص224.

لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فسارعت العامة في كل الشمال الإفريقي للتخلص من بقايا العبيديين ليصفي الشمال الإفريقي من المعتقدات الفاسدة الدخيلة عليه [1]. ويبدو أن المعز أراد أن يستغل الوضع الذي تمر به الخلافة الفاطمية، بقطيعة الفاطميين والولاء للعباسيين فقد ذكر ابن غلبون أن المعز كان يكاتب الوزير الجرجرائي [2] ويستميله ويعرض ببني عبيد وشيعتهم وكتب إليه قطعة بخط يده وتمثل فيما يقول:

وفيك صاحبت قوما لا خلاق لهم * * * لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا

فقال الوزير لبعض أصحابه: "ألا تعجبون من صبي بربري مغربي يريد أن يخدع شيخا عربيا عراقيا"[3].

استمر المعز بن باديس في التقرب إلى العامة وعلمائهم وفقهائهم من أهل السنة وواصل السير في تخطيطه للإنفصال الكلي عن العبيديين في مصر، فجعل المذهب المالكي هو المذهب الرسمي لدولته، وأعلن انضمامه للخلافة العباسية، وغير الأعلام إلى العباسيين وشعاراتهم، وأحرق أعلام العبيديين وشعاراتهم، وأمر بسبك الدراهم والدنانير التي كانت عليها أسماء العبيديين والتي استمر الناس يتعاملون بها 145 سنة وأمر بضرب سكة أخرى كتب على أحد وجهيها [4]: لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله. وكتب على الآخر : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران 85][5]. وكانت أعمال المعز ضد الشيعة ونبذ عهدهم مما أوغر صدورهم

[1] د.علي مُحَمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص96.

[2] أبي القاسم الجرجرائي: علي بن أحمد وزير من الدهاة، ولد في جرجرايا بسواد العراق، لقب الجرجرائي نسبة لقريته، وسكن مصر، وتنقل في الأعمال السلطانية بالريف والصعيد، وكثر التظلم منه في أيام الحاكم فقبض عليه سنة 403هـ/1012م وأمر بقطع يديه فقطعتا سنة 404هـ/1013م، ثم ولي ديوان النفقات سنة 406هـ/1015م، ولقب سنة 407هـ/1016م بنجيب الدولة، واستوزره الظاهر سنة 418هـ/1027م، فاستمر في الوزارة ملقبا بالوزير الأجل الأوحد صفي أمير المؤمنين وخالصه، توفي سنة 436هـ/1044م. أنظر: د. مُحَمَّد حمدى المناوى، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1970م، ص253-254.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص59-60. أنظر أيضا: الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية "تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م"، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1992م، ج1، ص214.

[4] د.علي مُحَمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص97.

[5] القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 85.

عليه، وحملهم على التفكير في الانتقام منه، لم يجدوا حيلة للانتقام منه وإزالة ملكه من إفريقية إلا أن يسلطوا عليه العرب ويمدوهم بما يساعدهم على محاربته[1].

2. دخول العرب افريقية

كانت قبائل العرب بني هلال وبني سليم[2] مستقرة في صعيد مصر وكانت تثير المشاكل وتشكل عبئا ثقيلا على الفاطميين، وكان لا يسمح لهم بالرحيل وإجازة النيل [3]، ولما أعلن المعز انفصاله سنة 435هـ/1043م، اهتدى العبيديون إلى طريقة مثلى للتخلص من هؤلاء الأعراب، حيث يتم إرسالهم إلى بلاد المغرب على شكل موجات هجرة بشرية، فيتحقق لهم بذلك مجموعة من الأهداف فإن انتصرت الدولة الصنهاجية تكون الدولة العبيدية قد تخلصت من هذه القبائل المتعبة، وإن انتصر بنو سليم وبنو هلال يكونوا بذلك انتقموا من عدوهم المعز بن باديس [4]. ففي سنة 442هـ قطع المعز بن باديس في إفريقية الخطبة للعلويين، فأرسل له المستنصر العلوي[5] من مصر في ذلك يرغبه ويرهبه ويقول ويقول له: "هل اقتفيت آثار من سلف من آبائك في الطاعة والولاء"، ويتوعده بإرسال الجيوش، فأغلظ ابن باديس في الجواب فقال: "أن أبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل تملكه أسلافك، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم، ولو أخروهم لتقدموا بسيوفهم"[6].

---

[1] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص225.

[2] بني هلال وبني سليم: من مضر وكانوا أحياء كثيرة ومساكنهم في الحجاز ونجد، فبنو سليم مما يلي المدينة، وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف. بنسب بنو سليم إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة، بن قيس عيلان بن مضر من العدنانية. وينسب بنو هلال إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة، بن قيس عيلان بن مضر من العدنانية. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص228.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص60.

[4] د.علي مُحَمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص98.

[5] المستنصر: معد بن الظاهر، ولد سنة 420هـ/1028م وبويع له بالخلافة سنة 427هـ/1035م، نصبه الجرجرائي مكان ابيه الظاهر وهو طفل صغير وهو من دبر سلطانه، كنيته أبا تميم ولقبه المسبنصر، وهو أطول الخلفاء عهدا، في عهده أعلن المعز الصنهاجي خلع طاعة العبيديين وخرجت صقلية عن طاعته على يد روجير النورمندي وانفصل الحجاز أيضا. أنظر: أبي عبد الله مُحَمَّد بن علي بن حماد، أخبار الملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة: د.التهامي نقرة و د. عبد الحليم عريس، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة، (د. س. ن)، ص104.

[6] د.علي مُحَمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص96.

فكلف وزيره الحسن بن علي اليازوري [1] على أن يرسلوا زغبة ورياح [2]، والأثبج[3] وغيرهم تنزل بالصعيد[4]. بدأت جموعهم في الزحف نحو بلاد المغرب، وأمرهم بقصد القيروان وتملكهم كل ما يفتحونه، فقد تقبل الأمراء الهلاليون بكل سرور العطايا التي غمرتهم، رغم قيمتها الزهيدة، كما تسلم كل من وافق على اجتياز النيل من بني هلال، فروة ودينار وقيل غير ذلك [5]. وفي رواية أخرى: كما تسلم كل من وافق على اجتياز النيل من بني هلال، جملا ودينار[6].

وقال لهم اليازوري: "أعطيناكم إفريقية وملك ابن باديس فلا تفتقرون بعدها"[7]، وفي رواية أخرى أخرى قال اليازوري لهم: "أعطيتكم المغرب وما وملكه ابن باديس الصنهاجي العبد الآبق"[8].

وعقد لرجالاتهم على أمصارها، فعقد لمؤنس بن يحي [9] على القيروان وباجة، وعقد لزغبة على طرابلس وقابس[10]، وكتب اليازوري إلى المعز: "أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولا فحولا، وحملنا عليها رجالا كهولا، ليقضي الله أمرا كان مفعولا"، لما بلغ المعز خبر دخول العرب لم يعبأ بخطرهم حاول

---

[1] الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري: نسبة إلى يازور، بلدة بالرملة من أعمال فلسطين، بها ولد وسكن الرملة، استوزره المستنصر الفاطمي سنة 442هـ ولقب بسيد الوزراء وتاج الأصفياء، قاضي القضاة، ثم زيد في ألقابه الناصر للدين غياث المسلمين، توفي سنة 450هـ. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص61. أنظر أيضا: د. مُحَمَّد حمدى المناوى، المصدر السابق، ص257.

[2] زغبة: ينسبون إلى زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر. ورياح: ينسبون إلى رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر. وهما قبيلتان من العرب وكانت بينهم حرب أصلح المستنصر بينهم وجهزهم بالأموال وأمروهم بقصد القيروان وملكوهم كل ما يفتحونه ووعدهم بالمدد والعدد. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص61. أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص226.

[3] الأثبج: ينسبون إلى الأثبج بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال، كانوا أوفر عددا وأكثر بطونا، وهم الذين تم لهم الغلب على صنهاجية بإفريقية على الضواحي. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص60.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص60. أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص226.

[5] ابن غلبون، المصدر السابق، ص61.

[6] الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص248.

[7] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص227.

[8] الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص248.

[9] مؤنس بن يحي: من بني مرداس، من رياح أحد بطون بني هلال، وكان سيدا في قومه. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص227.

[10] بن زاوي طارق، استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406-454هـ/ 1016-1062م)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط، إشراف: د. رافعي نشيدة، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص170.

استمالتهم إلى جانبه والاستعانة بهم أورد ابن غلبون يقول: "فتهاون المعز بهم أولا، فشغلهم بخدمته وأثقلهم بأعباء نعمته، وهم في أثناء ذلك يتمرسون بحياته ويدبرون إلى أنصاره وحمابه ويطلعون على مقابله وعوراته، حتى بان لهم شأنه وهان عليهم سلطانه، فجاهروه بالعداوة وراودوه على الإتاوة،.. فلما دخلوا أرض برقة وما والاها وجدوا بلادا كثيرة المرعى خالية من الأهل لأن زناتة [1] كانوا أهلها فأبادهم المعز، فأقامت بها العرب واستوطنتها وعاثوا في أطراف البلاد وبلغ ذلك المعز فاحتقرهم[2].

وأضاف ابن غلبون في كتابه **"التذكار"**: أقلعت العرب فملك بنو زغب مدينة طرابلس سنة 446هـ، فتتابعت رياح والأثبج وبنو عدي إلى إفريقية، وقطعوا السبيل وعاثوا في الأرض وأرادوا الوصول إلى القيروان[3].

قال الطاهر الزاوي في كتابه **"تاريخ الفتح العربي في ليبيا"**: قد اقترعوا على البلاد فخرج لبني سليم شرقيها: برقة وما حولها، وقد و جدوها خالية لأن أهلها حاربوا المعز لدين الله ففتك بهم حتى كاد يفنيهم، وخرج لبني هلال غربيها: طرابلس وقابس [4]، وانضم بنو جشم [5] إلى بني هلال. واستقرت

[1] زناتة: بطن من بطون البربر البتر يعودون إلى زنا بن يحي بن ضري بن زاحيك بن مادغيس الذين يرجعون إلى قبيلة ضريسة، وهي إحدى أكبر القبائل البربرية بطونا وعددا، رحل في جملتهم وتتفرق قبائلهم في كل بلاد البربر، على أن أغلبها في الفيافي والصحراء الممتدة من غدامس إلى المغرب الأقصى بسبب طبيعتها البدوية، ومنها جرواة وبنو ايفرن ومغراوة ودمر وغيرهم. أنظر: د.سنوسي يوسف إبراهيم، زناتة والخلافة الفاطمية، شركة سعيد رأفت للطباعة، جامعة عين شمس، ط1، 1986م، ص55، 57.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص60-61. أنظر أيضا: د.علي مُحَمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص100.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص60.

القيروان: مدينة عظيمة بإفريقية بناها الفاتح المسلم عقبة بن نافع الفهري سنة 5هـ/ 669م، ليس في المغرب أجل منها، وعندما أعلن المعز الصنهاجي انفصاله عن بني عبيد أرسلوا الأعراب، فخربوا البلاد ومنها القيروان. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المرجع السابق، ج4، ص420.

[4] قابس: مدينة بين طرابلس والمهدية على الساحل، فيها نخل وبساتين، وهي ذات مياه جارية، كان فتحها مع فتح القيروان، وساحلها مرفأ للسفن، وحواليها قبائل من البربر لواتة ونفوسة وزواوة، وبين مدينة قابس والبحر ثلاثة أميال. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المرجع السابق، ج4، ص289.

[5] جشم: ينسبون إلى جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، واندمجت فيهم قبائل أخرى من الأثبج كالمقدم والعاصم فعدوا منهم وغلب اسم جشم عليهم جميعا، ومن أشهر قبائلهم بني جابر والخلط وسفيان. أنظر: بن زاوي طارق، المرجع السابق،ص163.

واستقرت زغبة في طرابلس سنة 446هـ، واجتازت رياح والأثبج وبنو عدي إلى إفريقية – وهم من بني هلال- فأضرموها نارا[1].

وبعد ما وقع منهم ما وقع من غدر، حصلت بين العرب وبين المعز بن باديس حروب هائلة وملاحم كادت تقضي على الطرفين. وكانت زناتة تقيم بجهات طرابلس فدهمهم العرب بجموعهم، واجتازوهم إلى القيروان قوة واقتدارا بعد حروب طاحنة. وقد حشد لهم المعز ما أمكنه من خيل ورجل، وقابلهم بنفسه في جيوش جرارة جندارا بينه وبين القيروان ثلاثة أيام، وكان عدة العرب ثلاثة ألاف، وجيش المعز ثلاثين ألف، ظهر الاختلال في صفوفه وهربت صنهاجية وزناتة وبقي المعز والعبيد، حتى قتل منهم خلق كثير، ونجا بنفسه إلى المنصورة [2] فيمن بقي معه. حاول المعز الثأر لموقع له في جندارا، فأخذ العرب على حين غرة، فجمع جيشا بلغ سبعة وعشرون ألف فارس وهجم عليهم وهم يؤدون صلاة عيد الأضحى، وأسرع العرب إلى ركوب خيولهم، وانهزمت صنهاجية، والزناتة وثبت المعز فيمن معه من عبيده ثباتا عظيما لم يسمع بمثله ثم انهزم وعاد إلى صبرة التي هي المنصورية[3].

هزم المعز أمام العرب مرتين كل منها أشنع من الأخرى لقلة تنظيم صفوفه، وتدريبهم ولأن غالبيتهم من العبيد، إضافة إلى خذلان جنوده من البرابرة الذين لا زالوا يعظمون الخلافة العبيدية حيث خذلوه في أكثر من موقع، وتقريب المعز لعبيده مما أوغز نفوس صنهاجة وزناتة عليه، وقوة وشجاعة العرب وتمرسهم على ركوب الخيل والحرب وشجاعتهم[4].

بعد أن صعب على المعز الإيقاع بالعرب، وإيقاف مقصدهم قبل الوصول إلى القيروان، وكان المعز سنة 444هـ بنى سور زويلة [5] والقيروان لحمايتها، واصل العرب تقدمهم، ودخل المعز في قتال معهم فقتل من زناتة بالمنصورية خلق كثير، فلما رأى ذلك المعز سمح لهم بدخول القيروان والتزود بما يحتاجون إليه من أسواقها وأثناء ذلك حدثت فتنة بين العامة والعرب، فحاصرته العرب القيروان سنة

[1] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص229.

[2] المنصورة: وتعرف أيضا بصبرة، وهي بلد قريب من القيروان، بناها إسماعيل بن القائم العبيدي سنة 337هـ/ 948م واستوطنها، ثم هجرها الناس فخربت. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المرجع السابق، ج3، ص391. أنظر أيضا: ابن غلبون، المصدر السابق، ص63.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص62-63. أنظر أيضا: د.علي مُحَّد الصلابي، المرجع السابق، ص103-104.

[4] د.علي مُحَّد الصلابي، المرجع السابق، ص104-105.

[5] يقصد ببناء سور زويلة تجديده. أنظر: ابن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، المصدرالسابق، 64.

446هـ، وأشار المعز على الرعية بالإنتقال إلى المهدية [1] لعجزه عن حمايتهم من العرب، وأقام المعز والناس ينتقلون إلى المهدية إلى سنة 449هـ فتلقاه ابنه تميم[2]، وبقي المعز معه بالمهدية إلى أن توفي سنة 453هـ، وكانت مدة حكمه 47 سنة [3].

3. ولاية تميم بن المعز

بعد وفاة المعز بن باديس ملك ابنه تميم، وفي أيامه كانت قابس وضواحيها تحت رياسة حمو بن فلفل البرغواطي [4]، وهو من الخزرونيين أعداء الصنهاجيين، وكانت زغبة من بني هلال تسكن هذه الناحية ويناصرون حمو، فثاروا على الأمير تميم برياسة حمو، فتغلب عليهم[5].

كانت هيبة بني باديس قد وهت أيام المعز بما كان من الأعراب، فلما مات ازداد طمع العمال في الاستقلال، وأظهر كثير منهم الخلاف. فممن أظهر الخلاف عليه القائد حمو بن مليل قائد صفاقس[6]، واستعان بالأعراب وقصد حصار المهدية فخرج إليه تميم وصافه فاقتتلوا، فانهزم وحمو

---

[1] المهدية: مدينة بتونس، بناها المهدي وبه سميت، شرع في بنائها سنة 303هـ، وكمل سورها سنة 305هـ، ولما فرغ من إحكامها قال: اليوم أمنت على الفاطميات: يعني بناته. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص64.

[2] تميم بن المعز: ولد بالمنصورية سنة 422هـ، واستقل بالملك، واتخذ دار ملكه المهدية لأنها محل ولايته في حياة أبيه سنة 445هـ، ولما كان أتوه المعز بالقيروان كان هو قائما بشؤون المهدية وانفرد بشؤون إفريقية بعد وفاة أبيه، وقد سلك مسلك أبيه في حسن السيرة ومحبة أهل العلم، توفي تميم سنة 501هـ وعمره 79سنة، ومدة حكمه 46سنة وعشرة أشهر وعشرون يوما، وخلف مائة ولد من ذكور، وستين بنتا، على أمثاله رحمه الله. أنظر: ابن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، المصدر السابق، ص66، 77. أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص232، 235.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص63-64. أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص232. أنظر أيضا: د.علي مُحَمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص104.

[4] فلفل البرغواطي: فلفل محرفة عن "مليل"، وبرغواطة يقال لها "بلغواطة" بباء ولام مفتوحتين، وغين معجمة ساكنة، جماعات من البربر أخلاط من عدة قبائل يسكنون ساحل تامسنا، وكانوا لا دين لهم، وهم من المجوس أشبه. ادعى فيهم النبوة صالح بن طريف (يهودي الأصل من طريف من برناط) في أيام هشام بن عبد الملك سنة 125هـ، فكان يقال لمن دخل في ديانته برناطي، وحولته العرب إلى برغاطي، فسموا برغواطة. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص 233. أنظر أيضا: ابن غلبون، المصدر السابق، ص66.

[5] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص233.

[6] صفاقس: مدينة بإفريقية وموقعها على ضفة الساحل بينها وبين المهدية ثلاثة أيام، وبينها وبين سوسة يومان، وبين قابس ثلاثة أيام، ذات سور، وبها محاريس من أجل الرباط، وعلى أبوابها صفائح من حديد منيعة، وبها أسواق عامرة ومساجد. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المرجع السابق، ج3، ص223-224.

وأصحابه وكثر القتل فيهم، ونجا حمو بنفسه وتفرقت خيله ورجاله، وذلك سنة 455هـ، ثم سار تميم إلى سوسة[1]، وكان أباه قد خالفوا أباه المعز وعصوا عليه، فملكها وعفا عنهم[2].

وفي سنة 457هـ أراد الناصر ابن عَلَنَاس الصنهاجي [3] احتلال المهدية والقضاء على ملك تميم وجهز جيشه من صنهاجة وزناتة وبني هلال، فاستدرج تميم بن المعز القبائل العربية للوقوف بجانبه [4]، فلم صح ذلك عنده أرسل إلى أمراء بني رياح فأحضرهم إليه وقال: "أنتم تعلمون أن المهدية حصن منيع أكثره في البحر، لا يقابل منه في البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا، وإنما جمع الناصر هذه العساكر ليسير إليكم"، فقالوا له: "الذي تقول حق، ونريد منك المعونة"، فأعطاهم المال والسلاح. فجمعوا قومهم وتحالفوا على لقاء الناصر. وأرسلوا إلى من مع الناصر من بني هلال يقبحون عندهم مساعدتهم للناصر، ويخوفونهم منه إن قوي، وأنه يهلكهم بمن معه من زناتة وصنهاجة، وأنه يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد إن دام الخلف وضعف السلطان. فأجابهم بنو هلال إلى الموافقة، وقالوا: "اجعلوا أول حملة تحملونها علينا ونحن ننهزم بالناس ونعود عليهم، ويكون لنا ثلث الغنيمة"، فأجابوهم إلى ذلك واستقر الأمر. وأرسل بن المعز إلى من مع الناصر من زناتة بنحو ذلك، فوعدوه أيضا أن ينهزموا. فحينها رحلت رياح وزناتة جميعها وسار إليهم الناصر بصنهاجة وزناتة وبني هلال، فالتقت العساكر بمدينة سبيبة [5]، فحملت رياح على بني هلال، وحمل بن المعز على زناتة فانهزم الطائفتان وتبعهم عسكر الناصر منهزما. قتل منهم 24 ألفا، وغنمت العرب جميع ما كان في العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك واقتسموا على ما استقر بينهم. وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد [6].

---

[1] سوسة بلفظ واحد السوس: مدينة صغيرة بينها وبين صفاقس يومان، وبينها وبين المهدية ثلاثة أيام، وتقع على نحو 110كلم إلى الجنوب والشرق من مدينة تونس، وقد أحاط بها البحر من الشمال والجنوب والشرق، وبسورها باب إلى جهة القيروان، وقد بنى سورها زيادة الله بن الأغلب. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص69.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص66- 68.

[3] الناصر بن علاء الناس بن حماد الصنهاجي الذي يقال له "عَلَنَاس" وكان ينازع تميما السلطة في إفريقية، وقد اصطلح مع تميم سنة 467هـ، وزوجه تميم ابنته بُلاَرة وولى على طرابلس ابنه مقلدا، توفي الناصر بن علناس سنة 470هـ. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص234.

[4] د.علي مُحَمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص107.

[5] سبيبة: ناحية من أعمال القيروان، وإليها ينسب أبو عبد الله مُحَمَّد بن إبراهيم السبيبي خطيب المهدية. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص70.

[6] ابن غلبون، المصدر السابق، ص70.

وأرسلوا الأموال و السلاح وخِيم الناصر بدوابها إلى تميم فردها وقال: "يقبح أن آخذ سلَب ابن عمي، فأرضى العرب بذلك"[1]. اغنم تميم لذلك وأصابه حزن شديد، فبلغ ذلك الناصر، وكان له وزير اسمه أبو بكر ابن أبي الفتوح، وكان رجلا جيدا يحب الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم، فقال للناصر: "ألم أشر عليك أن تقصد ابن عمك وأن تتفقوا على العرب؟ فإنكما لو اتفقتما لأخرجتما العرب". فقال الناصر: "صدقت، ولكن لا مرد لما قدر، فأصلح ذات بيننا"، فأرسل الوزير رسولا من عنده إلى تميم يعتذر ويرغب في الإصلاح، فقبل تميم[2].

وفي سنة 484هـ ضم تميم مدينة قابس بعد أن تولى أمرها عمرو بن المعز، وكان قبل عمرو رجل يسمى قاضي بن إبراهيم بن بلمونة، وكان ضمه لقابس بالجيوش الجرارة فقال له أصحابه: "يا مولانا لما كان قاضي توانيت عنه وتركته، فلما وليها أخوك جردت إليه العساكر"، فقال: "لما كان فيها غلام من عبيدنا كان زواله سهلا علينا، وأما وابن المعز بالمهدية، وابن المعز بقابس فهذا لا يمكن السكوت عليه[3].

وفي سنة 488هـ، سلمت مدينة طرابلس مقاليد أمورها إلى مغامر قادم من الشرق اسمه شاه ملك، وهو رجل تركي ابن أحد أمراء الأتراك ببلاد الشرق، نزل به ضيم في بلده اقتضى خروجه منه، فخرج في جماعة من أنصاره إلى مصر زمن الأفضل أمير الجيوش فنزل ضيفا عليه وأكرمه وقادته، وأقطعه أرضا وأعطاه أموالا، لكنه جحد النعمة وأتى أعمالا أغضبت أمير الجيوش، فغضب عليه وطرده هو وأتباعه، فخرج شاه ملك في نحو مئة فارس، وأمكنهم أن يتحصلوا على السلاح وتوجهوا إلى إفريقية، ولما وصلوا طرابلس علموا أن السكان مستاءون من حاكمهم ويتمنون زواله، اتصل ببعض الأهالي واتفق معهم على مهاجمة المدينة، ووعدوه بفتح أبوابها، وقد تم ذلك، فدخلها وفر خليفة بن خزرون. فسمع تميم الخبر، فجهز الأمير تميم جيشا لطرابلس، فحصروها فاضطر أهلها إلى فتح الأبوابها أمامهم، واستسلم شاه ملك ومن معه وأخذ أسيرا إلى المهدية[4].

---

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص71. أنظر أيضا: د.علي مُحَمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص107.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص71.

[3] د.علي مُحَمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص107-108.

[4] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص220. أنظر أيضا: ابن غلبون، المصدر السابق، ص73-74.

وفي سنة 493هـ استطاع تميم أن يضم مدينة صفاقس وأن ينتزعها بالقوة من حاكمها المتمرد حمو بن فلفل البرغواطي. ويعتبر عصر تميم أزهى من عصر والده فيما بعد دخول القبائل العربية، بعد أن عادت للدولة الزيرية هيبتها[1].

4. استيلاء رجار على طرابلس الغرب

في عهد يحي بن تميم الزيري [2] زاد عدد وحدات الأسطول الزيري، وأصبح أكثر تنظيما، وقام بغارات خاطفة على السفن التجارية المسيحية وعلى المدن الايطالية وأساطيل الروم، حيث تمكن من نشر الرعب وتظليل العدو، وبلغت انتصارات الزيريين في البحر أوجها، خاصة في عهد يحي بن تميم إلى حد القول: "بأنه لم تهزم له راية في البر أو البحر" [3]. كما جاء في كتاب **"التذكار"**: "وصلح أمر البحر، وأمن المسافرين" كان يحي قد أكثر من الأساطيل البحرية، وصرف همه إلى غزو النصارى وردد البعوث إلى دار الحرب حتى لقبته أمم النصرانية بالجريء[4].

لما تولى يحي بن تميم الحكم، صالح الأمير العربي رافع بن مكن الدهماني [5] وداراه طول حياته، وكان يحي يحتمل لرافع أمورا منها أن رافعا أنشأ بساحل قابس سفينة أعدها لما يعرض له في البحر من الأمر، فلم يبدي يحي أنكارا لذلك بل أعانه عليها وأمده بما احتاجه إليه فيها، فلما ولي علي[6]، أنف أنف ذلك وكره أن يقاومه أحد من أهل إفريقية في إجراء السفن في البحر، فأنفذ أسطولا إلى ساحل

---

[1] د.علي مُحَمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص108.

[2] يحي بن تميم ابن المعز بن باديس، ولد بالمهدية سنة 457هـ، عهد إليه أبوه بالولاية في حياته سنة 497هـ، واستقل بالأمر يوم وفاة أبيه، وعمره 43سنة وستة أشهر وعشرون يوم، كان عالما عادلا، غزا في البحر عدة غزوات فكان موفقا، توفي يوم العيد الأضحى سنة 509هـ، وعمره 52سنة، وخلف من الذكور ثلاثين ولدا ومن الإناث عشرون بنتا، ومدة ولايته ثمان سنوات وستة أشهر. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص 235. أنظر أيضا: ابن غلبون، المصدر السابق، ص77.

[3] الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص364.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص77.

[5] الأمير العربي رافع بن مكن بن كامل بن جامع الدهماني حاكم قابس، عقد أستولى عليها في عهد تميم، بموافقة هذا الأخير وعلى كره منه بلا شك. أنظر: الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص377

[6] علي بن يحي بن تميم ابن المعز بن باديس، ولد بالمهدية سنة 499هـ، ولاه أبوه على صفاقس سنة 497هـ، توفي سنة 515هـ، كانت إمارته خمس سنين وأربعة أشهر وثلاثة عشر يوما. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص235. أنظر أيضا: ابن غلبون، المصدر السابق، ص80.

قابس، لمنع هذه السفينة من الإقلاع، وأخذها إن أقلعت. وعلم بذلك رافع، فكتب لرُجار الثاني صاحب صقلية[1] يسأله الإعانة على علي ويخبره أنه إنما أنشأت تلك السفينة لبعث هدية يحب أن يهديها له[2].

لما تولى علي علت همته وأنف مما كان يفعله قواده، ومنهم رافع بن بكر الدهماني قائد قابس، وكان لا يصنع أحد بإفريقية أسطولا لحمل التجارة في البحر إلا أميرها، وكان رافع اصطنع في أيام يحي أسطولا لحمل التجارة، فلم ينكر عليه يحي جريا على عادته في المداراة، فلما استقر علي في الملك لحقته أنفة وبعث إلى رافع يمنعه من ذلك، فالتجأ إلى رجار صاحب صقلية فالتجأ إلى رجار صاحب صقلية واعتضد به فوعده أن ينصره ويعينه على إجراء مراكبه في البحر[3].

فقد بعث رجار إلى قابس أسطولا ضخما، ولما وصل الأسطول الصقلي إلى المهدية، جمع علي رجال دولته واستشارهم في ذلك، فكلهم أشار عليه باسترجاع أسطوله والتغاضي عن رافع في هذه المسألة، حفظا لما بينه وبين رجار من المصالحة. فرأى علي في ذلك وهناً عليه، فأمر بقية أسطوله، فأخرج للحين ووجهه إلى قابس[4].

وحسب ابن غلبون الذي لم يتحدث عن هذه الاستشارة، لما علم علي بإجتياز الأسطول الصقلي بالمهدية، تحقق علي اتفاقهما، وكان إذا قيل له اتفقا على ذلك يكذبه، فلما اجتاز الأسطول بالمهدية أخرج علي أسطوله إثره فتوافى الجميع إلى قابس، فلما شاهد رافع أسطول الإفرنج، والمسلمون لم يخرج مركب، فعاد أسطول الإفرنج وبقي أسطول علي يحصر قابسا مضيقا عليها، ثم عاد إلى المهدية[5]. وقد ورد في كتاب "**الدولة الصنهاجية**": أن أسطول علي لما وصل إلى قابس وجد الروم قد قد نزلوا من قطعهم لضيافة أعدها رافع لهم، فلم يرعهم إلا وصول الأسطول، فبادروا إلى قطعهم،

---

[1] صقلية: بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء، مدينة على شاطئ بحر الروم الشمالي فيما يقابل إفريقية، ويبلغ اتساع البحر بينها وبين إفريقية في أقرب نقطة 140 ميلا، وبها عدة مدن وأنهار ومنتزهات غناء وثمار جيدة، افتتحها أسد بن الفرات سنة 212 في زمن زيادة الله بن الأغلب في أيام المأمون، وهي من ممالك إيطاليا ولا تزال آثار المسلمين قائمة بها في كل ناحية، وتسمى سيسيليا. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص83.

[2] الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص377.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص79.

[4] الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص378.

[5] ابن غلبون، المصدر السابق، ص79.

فغلبهم المسلمون على أكثرها، وقتلوا منهم جماعة كبيرة، وسلم من سلم منهم، فلاذ بالهرب، وطار من خفة الخوف لا من خفة الطرب. وكان ذلك من أسباب الوحشة التي وقعت بين رجار وعلي وابنه الحسن بعده[1].

تمادى رافع في المخالفة لعلي وجمع قبائل العرب وسار بهم حتى نزل المهدية فحاصرها، وخادع عليا وقال: "إنما جئت للدخول في الطاعة"، وطلب من يسعى له في الصلح، وأفعاله تكذب قوله فلم يجبه علي بحرف وأخرج العساكر فحملوا على رافع حملة منكرة فألحقهم بالبيوت، ووصل العسكر إلى البيوت، فلما رأى ذلك النساء صحن وولولن، فعادت العرب وعاودت القتال، واشتد الأمر، ودامت الحرب إلى الغروب ثم افترقوا، وقتل من أصحاب رافع بشر كثير، ولم يقتل من جند علي غير جندي واحد من الرجالة، ثم خرج عسكر علي مرة أخرى فاقتتلوا أشد من القتال الأول وكان الظهور فيه لعسكر علي، فلما رأى رافع أنه لا طاقة له بهم رحل من المهدية ليلا إلى فمنعه أهلها من الدخول فقاتلهم ثم دخلها، فأرسل إليه علي عسكرا فحاصره إلى أن حرج منها وعاد إلى قابس ثم سأله جماعة من أعراب إفريقية وغيرهم الصلح فأبى ثم أجاب[2].

أ. غزو جزيرة الأحاسي وقصر الديماس 517هـ

كانت بداية استعداد رجار الثاني لغزو المهدية إنطلاقا من جزيرة الأحاسي وقصر الديماس[3] سنة 516هـ، وهي السنة التي وجه فيها الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، أسطوله بقيادة أبي عبد الله بن ميمون إلى بلاد رجار، فافتتح منها حصونا وسبى منها سبايا كثيرة، فاقتنع رجار الثاني أن هذا العمل العدواني إنما هو بإيعاز وتحريض من الحسن بن علي الزيري[4]، وبعد إعداد وتجهيز الأسطول للقيام بعملية الغزو، ومنع من السفر إلى إفريقية وغيرها من بلاد المغرب، فلما انقطع الطريق عن إفريقية، توقع الأمير الحسن خروج العدو إلى المهدية، فأمر باتخاذ العدد وتجديد الأسوار وجمع المقاتلة، فأتاه من أهل البلاد ومن العرب جمع كثير[5].

---

[1] الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص378.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص79.

[3] قصر بجزيرة الأحاسي التي تبعد عن المهدية بحولي 10 أميال. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص81.

[4] الحسن بن علي بن يحي بن تميم ابن المعز بن باديس، ولد بسوسة سنة 502هـ، تولى بعد وفاة أبيه، وعمره 12 سنة وتسعة أشهر. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص235.

[5] ابن غلبون، المصدر السابق، ص80. أنظر أيضا: الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص393.

أسند الأسطول إلى جورج الأنطاكي [1] الذي عمل سابقا لدى بني زيري، وكان على إطلاع بأحوال الدولة حاضرها وباديتها، وجعله مقدما على الأسطول، برفقة عبد الرحمن بن عبد العزيز المسمى في المصادر المسيحية "كريستو دولوس" وبلغ عدد مراكب الأسطول الموجه للغزو بنحو ثلاثة مئة مركبا وحمل على ظهرها ثلاثون ألف راكب وزهاء ألف فارس[2].

تحرك الأسطول يوم السبت 25 جمادى الأولى سنة 517هـ، ونزلوا جزيرة الأحاسي وكان وصولهم آخر النهار، وتمكنوا من الاستيلاء على حصن الديماس، بمساعدة بعض العرب الهلالية الذين وعدهم الرحمن النصراني وصاحبه ومناهم، وقد كان رجار أمرهما بذلك من النزول بجزيرة الأحاسي والتحيل في أخذ قصر الديماس بمباطنة العرب، ثم الزحف من هناك في البر بالرجال والخيل إلى المهدية، وعندئذ اجتمع المسلمون وخرجوا من المدينة وكبروا تكبيرة راعت من في الجزيرة، فظنوا أنهم داخلون أليهم، فإنهزموا وتراجعوا إلى مراكبهم، وتركوا من بقي بقصر الديماس لا يقدرون على نجدتهم أقلعوا عائدين إلى صقلية، وأقام المسلمون يقاتلون من حصر بقصر الديماس منهم إلى أن استد الحصار عليهم وفنى ماؤهم وطعامهم، فخرجوا فتلقتهم سيوف الأعراب فقتلوهم عن آخرهم، وهنئ الحسن بهذا الفتح[3].

ويضيف الهادي روجي إدريس في كتابه **"الدولة الصنهاجية"**: وتواصل حصار الديماس ستة عشر يوما، فطلب من في القصر من النرمان الأمان من الحسن، بل اقترح عدد منهم دفع فدية غالية للنجاة بأنفسهم، فلم يستجب الأمير لطلبهم، إرضاء للأعراب الذين رفضوا ذلك العرض.

وكان عدد المراكب الواردة من صقلية ثلاثمائة مركب، فلم يرجع منها إلى صقلية إلا قدر مائة مركب، ولم ينج من الخيل إلا فَرَسان[4].

---

[1] هو جورجي بن ميخائيل الأنطاكي قائد أسطول رجار، نصرانيا هاجر من المشرق، وقد تعلم اللسان وبرع في الحساب وتهذب في الشام بأنطاكية وغيرها، فاصطنعه تميم واستولى عليه، وكان يحي يشاوره فلما هلك تميم أعمل جرجي الحيلة في اللحاق برجار فلحق به وحظي عنده واستعمله على أسطوله. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص83.

[2] الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص394.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص81- 82. أنظر أيضا: الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص395- 396.

[4] الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص396.

ب.احتلال المهدية 543هـ

كانت تربط رجار صاحب صقلية والحسن بن علي الزيري معاهدات صلح وتعاون، لذا لم يتورع الحسن الزيري بالاستعانة برجار وطلب النجدة بعد إقدام ابن عمه يحي بن العزيز بن منصور بن الناصر بن علناس على بعث أسطولا في البحر وجيشا في البر بمحاصرته بالمهدية بقيادة مطرف بن علي بن حمدون الفقيه، وكان رجار قد لبى طلب النجدة، وأرسل أسطوله فارتحل منها مطرف مسرعا. وفي ذلك يقول ابن غلبون: "فاستمد الحسن رجار فأمده بأسطوله"[1].

وإن كان التحالف بين رجار الثاني والحسن، والذي كان مؤقتا عند رجار حتى تحين الفرصة السانحة، فإنه وفي سنة 536هـ، وكانت لرجار جواسيس بالمهدية فكتبوا إليه يعلمونه أنه بمرساها مراكب قد استوفت وسقها، فأمر جرجي قائد أسطوله بالهجوم عليها، فأخذ ذلك غدرا وحملها إلى صقلية، ثم هجم بعد ذلك على مرسى المهدية فأخذ منه مركبا للحسن قد احتفل به وشحنه بذخائر ملوكية ليوجه بها إلى الحافظ العبيدي صاحب مصر، وكان ذلك المركب يسمى "نصف الدنيا"[2].

ولم يزل رجار يوالي الغزو على المهدية بأساطيله والمقدم عليها جرجي، إلى أن دخلت سنة 543هـ[3]. فلم يشعر الحسن صبيحة يوم الاثنين الثاني من صفر إلا وقد طلع عليه جرجي في ثلاثمائة مركب، فأرسى على بعد من المهدية، وكانت الريح منعته من الدخول إلى المرسى فأرسل إلى الحسن يخادعه. ويذكر أنه إنما وصل لطلب عسكر يستعين به على أهل قابس ليرد إليها ابن رشيد وإليها الفار إليه مستغيثا به، فعلم الحسن أنها مخادعة إلى أن يتهيأ له الريح فيدخل إليها [4]. فجمع الفقهاء والأعيان فأشاروا عليه بالدفاع، لكنه ارتأى عدم المواجهة وقدم مبررات لذلك، والرأي في نظره الخروج من البلد[5]، عزم الحسن من تسليم المهدية للنصارى وأمر في الحين بالرحيل عنها وخرج من القصر بما خف معه ومن أمكنه من أهله وولده وحشمه وتبعه الناس فارين بما قدروا عليه من أهل وولد، كان الحسن يقول عند خروجه: "سلامة المسلمين أحب إلي من الملك والقصر". بقي الأسطول على ظاهر البحر لا يمكنه الدخول إلى البلد إلى الساعة السابعة لانت الريح فدخل ووجد المهدية خالية فمكنها

---

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص82- 83.

[2] نفسه،ص83.

[3] الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص408. أنظر أيضا: ابن غلبون، المصدر السابق، ص83.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص83- 84.

[5] الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص417.

دون دفاع. ووجد جرجي قصر الحسن على حاله، فرأى من الذخائر الملوكية ما هاله، وحكم على ذلك كله وأمر أن ينادى في المهديتين [1] بالأمان، فارتفع النهب منها واخرج جميع النصارى من المهديتين فأنزلهم فيما بينهما من مضارب وأخبية، فكان من بقي في المهدية أحسن حالا ممن فر منها، فقد أهلك أكثرهم بسبب المشقة وعدم الماء إلى أن تداركهم جرجي فبعث إليهم خيلا يعلمهم بالأمان فرجعوا إلى بلدهم، وفرق عليهم مالا وطعاما أقرضهم إياه، فصلحت أحوالهم واغتبط الناس بالمهدية لما رأوا من عدل النصارى فعمرت أحسن عمارة[2]. ولقي جرجي أولاد الحسن وأهله، فأحسن إليهم وأرسلهم إلى صقلية، ودفع للتجار رؤوس أموال، وشمل إحسانه الفقهاء، وعين قاضيا مرضيا يحكم بين الناس ومهد قواعد البلدين[3].

أراد الحسن الذهاب إلى العبيديين في مصر ثم تنحى عن هذه الفكرة، وراسل ابن عمه زعيم الدولة الحمادية في المغرب الأوسط إلا أن ابن عمه حبسه في إقامة جبرية خوفا من أن يتصل بخليفة الموحدين[4] عبد المؤمن بن علي [5]، واستطاع الحسن ابن علي أن يتصل بخليفة الموحدين ودخل تحت سلطانه وعملا على تحرير أراضي المسلمين و المدن الساحلية من كل وجود للنصارى راضيا بخلافة الموحدين[6]، لم يزل الحسن يغريه بالحركة إلى إفريقية ويحضه عليها وعلى إنقاذ المهدية من أيدي النصارى إلى أن تاقت نفسه إلى ذلك، فأخذ عبد المؤمن في الحركة إليها سنة 554هـ، وحاصرها أشهرا ثم افتتحها سنة 555هـ، وبفتح المهدية تم له الأمر في الشمال الإفريقي وخلص له كله، وسمى

[1] المهديتين: الأول المهدية، والثانية زويلة، وبينهما مقدار رمية سهم. أنظر: ابن غلبون، المصدرالسابق، ص84.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص83- 84.

[3] الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص418.

[4] دولة الموحدين أسسها المهدي بن تومرت في المحرم سنة 516هـ، وهم يعرفون في التاريخ باسم "الحفصيين". أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص241.

[5] عبد المؤمن بن علي ابن مخلوف بن مروان بن نصر بن علي بن عامر...، وهو من قبيلة زناتة البربرية، وقيل هو من أصل عربي مضري، وكان الموحدون يلقبونه بالشيخ، وهو أول خليفة للمهدي، استخلفه في حياته، وتولى الحكم بعد وفاته سنة 524هـ، فتح المهدية سنة 555هـ، توفي بمدينة سلا سنة 558هـ، ومدة حكمه 33 سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص242- 244.

[6] د.علي مُحَمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص113.

هذه السنة سنة الأخماس لأنها وافقت ثلاثة أرقام كل منها خمسة، وأسكن بها الحسن فأقام هناك ثماني سنين، ثم استدعاه يوسف بن عبد المؤمن[1] فارتحل بأهله يريد مراكش، فهلك بتامسنا في طريقه[2].

وبسقوط المهدية في قبضة النصارى سنة 543هـ، انتهت دولة بني زيري بعد أن دام ملكها على أرض إفريقية والمغرب الأوسط نحو مائة وثمانين عاما، منذ زمن مؤسسها الأول بلكين سنة 362هـ إلى الحسن بن على سنة 543هـ[3].

ت.احتلال طرابلس 541هـ

في سنة 537هـ، قصد رجار طرابلس ليأخذها لما علم أن أهلها لم يدخلوا في طاعة الحسن، ووصفت مجريات عمليات الغزو بقول: " فنازلوا البلد وقاتلوه وعلقوا الكلاليب في سوره ونقبوه، فلما كان الغد وصل جماعة من العرب نجدة لأهل البلد، فقوي أهل طرابلس بهم، فخرجوا إلى الأسطول وتركوا الآلات والأسلحة والأثقال والدواب فنهبها العرب الهلالية وأهل البلد، ورجع الفرنج إلى صقلية"[4].

وفي سنة 541هـ، وردا للاعتبار على الانهزام الذي مني به سابقا في محاولة غزو المدينة سنة 537هـ، مستغلا في ذلك المجاعة التي قضت على الكثير من أهلها، وحملت الكثير منهم إلى الخروج من المدينة باتجاه صقلية[5].

ضعف الدولة الزيرية في إفريقية وتقلص نفوذها خاصة في فترة حكم الحسن بن علي، واضطراب الوضع السياسي بطرابلس، بعد ثورة أهالي المدينة ضد بني مطروح[6] وإخراجهم منها، وقيام الصراع بين

---

[1] يوسف بن عبد المؤمن كنيته أبو يعقوب، بويع له بعد وفاة أبيه، وتوفي سنة 580هـ، ومدة ملكه 21سنة و10أشهر، و8 أيام. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص244.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص87.

[3] د.علي مُحَمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص114.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص87- 88. أنظر أيضا: الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص409.

[5] الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص410- 411. أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص236.

[6] بني مطروح: كانوا في مقدمة وجهاء طرابلس ومن أكبر أعيانها، ومن أكبر أنصار مُحَمَّد بن خزرون، ولكنهم ضاقوا به كما ضاق به غيرهم، فجمعوا الناس حزلهم وثاروا به، وأخرجوه هو وشيعته من المدينة واستبدوا بها ونقضوا بيعة الحسن بن علي. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص237.

بين الطائفتين مما أدى إلى القتال وخلو الأسوار من الحراسة، كما جاء في المراجع: "فلما نازلهم الفرنج أغارت تلك الطائفة على بني مطروح، فوقعت الحرب بين الطائفتين وخلت الأسوار"[1].

وكان رجار قد أعد أسطولا جمع فيه نحو مئتي مركب، وجعل عليه المقدم جرجي الأنطاكي وسيره إليها، فأحاطوا بها برا وبحرا وحاصرها ثلاثة أيام، وتمكن الافرنجة من دخولها، كما جاء ذكرها: "فانتهز الفرنج الفرصة، ونصبوا السلالم وصعدوا على السور، فملكوا المدينة قبلا ونهبا وسلبا ولاذ معظمهم بالفرار، وملكوا المدينة عنوة بالسيف، فسفكوا دماء أهلها، وأخذوا نساءهم وأموالهم، وفر من قدر على الهروب، والتجأ كثير من السكان إلى العرب والبربر" ثم نودي بالأمان في كافة الناس فرجع كل من فر منها وأقام الإفرنج ستة أشهر حتى حصنوا سورها، وحفروا خندقها، وولوا عليها رافع بن مطروح التميمي [2]، وجعلوا قاضيهم أبا الحجاج يوسف بن زيري، فكانت أحكام المسلمين كلها مصروفة إلى واليهم وقاضيهم، ولم يكن النصراني يتعرض لشيء من أحكامها، وأخذوا رهائنه بالطاعة، ورجعوا إلى صقلية وحثوا الناس على الرحيل إلى طرابلس، فرحل إليها أناس كثيرون وحسنت حالة العمران فيها[3].

كانت طرابلس منذ حوالي اثنتي عشرة سنة تحت حراسة تلك الحامية الصغيرة. عندما سرى في سنة 553هـ، نبأ يقول أن أميرا حفصيا هو الأمير عبد المؤمن بن علي قد استرجع مدينة تونس من النصارى، وأنه كان في طريقه إلى طرابلس لإعادتها إلى حظيرة المسلمين، فشعرت الحامية الصقلية بأنها لن تستطيع الدفاع عن نفسها بنفسها، فعرضت على الأهالي أن ينضموا إليها وأن يوحدوا جهودهم إلى جهودها للتصدي لعبد المؤمن [4]. أمر النصارى أهل المدينة أن يصعدوا المنابر ويتكلموا في جهة الموحدين بسوء، فأعظم أهل طرابلس ذلك واجتمعوا إلى قاضيهم أبي الحجاج، فسفر بينهم وبين النصارى، وأعلم النصارى ألا سبيل إلى نيل ذلك، وأن الأمر إنما كان العقد بينهم ألا يكلفوا المسلمين

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص88. أنظر أيضا: الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص411. أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص237. أنظر أيضا: شارل فيرو، المرجع السابق، ص55.

[2] رافع بن مطروح التميمي: كنيته أبو يحي، وكان شيخ البلد، وأسند إليه رجار ولاية طرابلس، وعين الأستاذ يوسف بن زبري قاضيا، وكنيته أبو الحجاج، بقيت طرابلس تحت حكم رافع بن مطروح اثنتي عشر سنة. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص239.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص88- 89. أنظر أيضا: الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص411. أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص238.

[4] شارل فيرو، المرجع السابق، ص55.

شيئا مما يخالف أمر دينهم، وذكرُ أهل الدين بسوء مما يخالف أمر دينهم، فإن رضوا منهم بذلك وإلا سلموا لهم البلد خرجوا عنه، فأعفاهم النصارى من ذلك[1].

وحصل الاتفاق والتفاهم في انخاذ قرار الثورة بين حاكمها أبي مطروح وسكان المدينة، وتناجوا فيما بينهم على التخلص من سيطرة النصارى، وكان ذلك سنة 553هـ، واختير زمانها ليلا، وقامت الخطة على وضع الحبال والأخشاب في الطريق الذي يمر به العدو وذلك لعرقلة جري الخيول، ولما انتشر خبر اندلا ع الثورة لدى عسكر الحامية خرج إليها، لكن الحبال والأخشاب عرقلت الخيول، وقبضوا عليهم وقتلوهم[2]. وقتلوا الفرنجة قتلا ذريعا وأحرقوهم بالنار، هرب من لم يدركه القتل[3].

وبهذا تحررت طرابلس من قبضة النصارى سنة 554هـ، استمر حكم أبي يحي بن مطروح لها لسيرته الحسنة ورجاحة عقله ودهائه، فاستطاع أن يكسب ود العرب المجاورين له بمصالحتهم، وعند وصول عبد المؤمن بن علي إلى إفريقية سنة 555هـ، وصلت إليه وفود البلاد ومن جملتهم وفد طرابلس. توجه الوالي أبو يحي بن مطروح وبصحبته الأعيان للقياه، واستقبله مبايعا، بكل مظاهر الفرحة، وأدخله المدينة وسط جماهيرها التي هرعت بدورها للقياه، وثبت عبد المؤمن الوالي أبو يحي في منصبه، واستمر بحكم المدينة إلى أن عجز بعهد يوسف بن عبد المؤمن وطلت الحج، فسرح أبو زيد أبا حفص مُحَّد بن عبد المؤمن عامل تونس لقضاء أداء فريضة الحج، فتوجه بجميع أهله في البحر واستقر بالإسكندرية سنة 568هـ، وبقي فيها إلى أن توفي[4].

ثالث المغامرون في طرابلس الغرب

1. استيلاء قرقاش علي طرابلس الغرب

بوفاة أبو يحي، عادت طرابلس إلى أحضان البؤس والفوضى من جديد، إذ انصرف الموحدون إلى قضاء مصالحهم الشخصية على حساب السكان، وأهملوا الجيش. فثارت بعض القبائل وعلى رأسها بني هلال، وظلوا يقاتلون الموحدين حتى أضعفوا سلطانهم وبددوا شمل مملكتهم، وفي هذه

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص90. أنظر أيضا: الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص446.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص90. أنظر أيضا: الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص446. أنظر أيضا: شارل فيرو ، المرجع السابق، ص55.

[3] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص240.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص91. أنظر أيضا: الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ص446، 459. أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص242- 243. أنظر أيضا: شارل فيرو، المرجع السابق، ص56.

الظروف أرسل السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي كان قد أنشأ الدولة الأيوبية في مصر بعد وفاة آخر خلفاء الفاطميين أبو مُحَمَّد العاضد لدين الله سنة 566هـ، مملوكه شرف الدين قراقش [1] لاحتلال إفريقيا، فسار قراقش يتلف وينهب كل ما في طريقه، وانضمت إليه القبائل الثائرة يترأسها الشيخ مسعود بن زمام أحد أمراء الهلاليين [2]، قويت بالعرب شوكة قراقش، وكثرت عصابته، فنهض بهم إلى جبل نفوسة فاستولى عليه، واستولى فيه على أموال كثيرة ففرقها فيمن معه من العرب استجلابا لإخلاصهم له، وباستيلائه على جبل نفوسة حفظ خط الرجعة لنفسه ولم يبق وراءه من يخافه من الشرق والجنوب، ثم تقدم في جموعه، حتى وصل مدينة طرابلس سنة 568هـ، فحاصرها ولم يلبث أن استولى عليها لقلة ما بها من جند والأقوات، لأن أهلها ما كانوا ينتظرون هجوم العدو عليهم، وأصبح يملك ما بين طرابلس وفزان، ومن جبل نفوسة إلى حدود برقة الشرقية[3].

وفي ذلك يقول ابن غلبون: "وسار مع قراقش عسكر كثير فجنح لتلك البلاد بمساعدة العرب فجمع أموالا عظيمة وجعلها بمدينة قابس، وقويت نفسه وحدثته بالاستيلاء على جميع إفريقية لبعد يعقوب بن عبد المؤمن [4] عنها، وتملك علي بن إسحاق [5] بجاية من يد عامل يعقوب سنة 580هـ، فوجه إليه يعقوب عسكرا واستعادها"[6].

---

[1] شرف الدين قراقش الأرمني مملوك المظفر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاه ابن أخي السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب الكردي. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص93.

[2] راسم رشدي، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، دار النيل للطباعة، ط1، القاهرة، 1953م، ص81.

[3] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص246- 247.

[4] المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، بويع له بعد وفاة أبيه، ولد في أواخر ذي الحجة سنة 554هـ، وتوفي يوم 12 من ربيع الأول سنة 595هـ، ومدة حكمه 14 سنة و 11 شهرا وأربعة أيام، وفي أيامه ظهر أولاد غانية: يحي وعلي. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص244.

[5] علي بن إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ويعرف بابن غانية، وهو من أعيان الملثمين الذين كانوا ملوك المغرب الأقصى، وهو صاحب جزيرة ميورقة، قتل في حروبه مع نفزاوة سنة 584هـ. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص99- 100.
الملثمون: قبائل بربرية كانت تسكن الصحراء الكبرى، وكانوا على دين المجوسية قبل أن يظلهم الإسلام في المائة الثالثة، أول من سماهم المرابطين عبد الله بن ياسين وهو أول من دعاهم إلى قتال من لم يذعن إلى الأحكام الإسلام. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص105.

[6] ابن غلبون، المصدر السابق، ص101.

وقد سهل احتلالها سائر الأقاليم والمدن الأفريقية، فاحتل تونس والجزائر ومدنا أخرى عديدة في المغرب، فلما تم له ذلك، بعث برسول إلى الخليفة العباسي في بغداد، ليحصل منه على لقب أمير للبلدان التي أخضعها، فلما رفض الخليفة العباسي أن ينعم على قراقش بهذا اللقب[1].

وفي ذلك يقول ابن غلبون: "ولما استولى على إفريقية قطع الخطبة لبني عبد المؤمن وخطب للناصر لدين الله العباسي، وأرسل إليه يطلب الخلع والأعلام السود"[2].

شجع ذلك ملك الموحدين يعقوب أبو يوسف الحفصي، ملك فاس، الرغبة في استغلال هذا الظرف لإشباع المطامع التي كان يغذيها تجاه البلدان التي استولى عليها هذا المملوك، وهكذا فإنه أعد عشرين ألف مقاتل وتوجه على رأسهم إلى مدينة تونس فنزل بها. وبعد ذلك توجه ستة ألاف منهم مع ابن أخيه لمقاتلة قراقش الذي كان متواجدا بمدينة الجزائر. وكان هذا اللأخير قد عزم على محق جميع هذه الجيوش بضربة واحدة عن طريق استدراجها إلى كمين منصوب، وكانت خطة قراقش تقضي بالانتظار وعدم محاربته الآن، فأمر الأهلين بتسهيل مرور الموحدين، بل باستقبالهم بمظاهر الفرح والترحيب، وبأن يوحوا إليهم بأنه قد انسحب مع أنصاره إلى مدينة الجزائر منذ عدة أيام، وهكذا فإن الأهالي تركوا جنود يعقوب الحفصي تحتل ترابهم، ولكن ما إن وصل هؤلاء إلى قلب البلاد حتى انقض قراقش عليهم وشرد فلولهم، إلا أن يعقوب جمع فلول جيشه، وانقض بدوره على قابس حيث توجد معظم قوات قراقش، حتى تمكن من المدينة وغنم كل ما فيها، بما في ذلك نساء قراقش وأطفاله، وقادهم إلى مدينة فاس ومعهم الغنائم الهائلة التي استولى عليها، فلما رأى الجزائريون ما حل برئيسهم وجيشه خضعوا واستكانوا له، فلم يجد قراقش بدا من مفاوضة عدوه على إلقاء السلاح والعودة إلى تونس، مقابل اطلاق سراح نسائه وأطفاله، ولما أن تم ليعقوب الاستيلاء على طرابلس وضواحيها، قفل راجعا إلى فاس[3].

[1] راسم رشدي، المرجع السابق، ص81. أنظر أيضا: شارل فيرو، المرجع السابق، ص56- 57.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص101.

[3] راسم رشدي، المرجع السابق، ص81. أنظر أيضا: شارل فيرو، المرجع السابق، ص 57.

وفي ذلك يقول ابن غلبون: "فوصل إلى مدينة تونس، وأرسل ستة ألف مع ابن أخيه، فساروا إلى علي بن إسحاق الملثم ليقاتلوه، وكان بقفصة [1] فوافوه، وكان مع الموحدين جماعة من الترك فثاروا عليهم، فانهزم الموحدون وقتل جماعة مقدميهم وكان ذلك في ربيع الأول سنة 583هـ، فلما سمع يعقوب الخبر أقام بمدينة تونس إلى نصف رجب من السنة، ثم خرج فيمن معه من العساكر يطلب الملثم والأتراك، فوصل إليهم والتقوا بالقرب من مدينة قابس واقتتلوا فانهزم الملثم ومن معه، فأكثر الموحدون فيهم القتل حتى كادوا يفنونهم ولم ينج منهم ألا القليل، فقصدوا البر ورجع يعقوب من يومه إلى قابس ففتحها، وأخذ منها أهل قراقش وأولاده وحملهم إلى مراكش ودانت له البلاد كلها، طرابلس وإفريقية"[2].

انسحب قراقش إلى تونس حسب الاتفاق، ولكن لم يمض وقت طويل حتى كان جنود قراقش قد بدؤوا يعودون إليه ويتجمعون حوله، وسرعان ما وصل عددهم إلى نصف عدد القوات الأصلية التي سبق له وأن ترأسها، فأغراه ذلك على استئناف الحرب، وخرج قراقش فاكتسح قابس، ومنها سار إلى طرابلس فاحتلها أيضا. وعلى مسيرة ساعة ونصف ساعة إلى الغرب من هذه المدينة، أقام لنفسه قصرا من الحجر والآجر، أطلق عليه إسمه، ويطلق على المنطقة التي بها بقايا القصر اليوم اسم "قصر قرقارش"[3].

وفي ذلك يقول ابن غلبون: "ثم أظهر قراقش الإنابة إلى الموحدين ومات علي بن اسحاق الميورقي، وتولى أخوه يحي وكان ذلك سنة 586هـ، ولحق قراقش بالسيد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، فأقام بها زمانا تحت كرامته، ثم انصرف عنها فارا، فرجع إلى قابس وخادع أهلها حتى دخلها فقتل جماعة منهم وأظهر الرجوع والإنابة، واستدعى جماعة من أشياخ العرب الذبابيين فقتل أعيانهم، واستولى عليها وعلى طرابلس"[4].

---

[1] قفصة: بلد صغير في طرف إفريقية من ناحية المغرب، من عمل الزاب الكبير بالجريد بينها وبين القيروان ثلاثة أيام، وهي مدينة كثير القصور (أكثر من مائتي قصر)، وحصينة أجنادها وأربابها، وهي أكثر بلاد إفريقية فستقا ومنها يحمل إلى جميع نواحي إفريقية والأندلس وسجلماسة. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المرجع السابق، ج4، ص382- 384.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص102.

[3] راسم رشدي، المرجع السابق، ص82. أنظر أيضا: شارل فيرو، المرجع السابق، ص57.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص102.

وبعد أن حشد قراقش حوله قوات جديدة بدأ الحرب مرة أخرى، وكان قد أوكل أمر حكومة منطقة الجريد إلى المدعو يعقوب، وذلك في أعقاب صعوبات نشبت بينه وبين يحي بن إسحاق الميورقي الذي كان واليا لبلاد الجريد منذ أيام الحفصيين، ثم خرج عليه على رأس قوات كبيرة لمقاتلته[1].

وفي ذلك يقول إتوري روسي: "زحف على طرابلس واستولى عليها بالتعاون مع يحي الميورقي أخي علي الميورقي، واتجها نحو الجبل، وهنا تخاصم الحليفان وأعلنا العداء، صار قراقش عدوا ليحي"[2].

تقابل جيشا قراقش ويحي الميورقي قي بقعة مهجورة تسمى "وادي محسن"، وهو ما يعرف اليوم بـ "واد الهيرة"[3]، وكانت المعركة حامية الوطيس، فكسرت شوكة جيش قراقش الذي اضطر إلى الهرب تجاه الجبال، وبعد أن طارده يحي الميورقي عدة أيام عاد متوجها إلى طرابلس، غير أن ياقوت الافتخار نائب قراقش، تصدى له بمقاومة عنيفة، الأمر الذي جعله يلاقي صعوبات جمة في الاستيلاء على طرابلس، بيد أن إمدادات وصلت إليه من الأندلس ومكنته من التضييق على المدينة تضييقا شديدا، إلى أن استولى عليها سنة 599هـ، وهكذا فقد أصبح الحفصيون أسيادا على طرابلس للمرة الثالثة[4].

وفي ذلك يقول ابن غلبون: "والتقيا بمحسن وهو يعرف اليوم بوادي الهيرة، كانت الواقعة ليحي على قراقش وقعة شنيعة، وفر قراقش للجبال وتوغل فيها وتبعه الميورقي أياما ثم رجع إلى طرابلس وحصر بها ياقوت نائب قراقش، فلم يقصر في دفاعه، وضبط البلد ضبطا عظيما، فكتب الميورقي لأخيه عبد الله وهو إذ ذاك صاحب ميورقة من بلاد الأندلس (جزيرة) [5]، يطلب منه الإعانة ببعض

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص102- 103. أنظر أيضا: شارل فيرو، المرجع السابق، ص57- 58.

[2] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة: خليفة مُحَمَّد التليسي، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، ط1، 1974م، ص109. أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص249.

[3] الهيرة: الأرض السهلة، وهو بهذه الصفة، وأرضه خصبة، يقع على بعد مسيرة ثماني عشر ساعة من مدينة طرابلس. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص103.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص102- 103. أنظر أيضا: شارل فيرو ، المرجع السابق، ص58. أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص249.

[5] ميورقة: جزيرة في شرق الأندلس بالقرب من جزيرة وتورقة، كانت قاعدة ملك مجاهد العمري. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص246.

أسطوله، فوجه إليه قطعتين ضيق بهما على طرابلس تضييقا شديدا إلى أن استولى عليها، وولي عليها ابن عمه تاشفين بن الغاني"[1].

2. استيلاء يحي بن غانية على طرابلس الغرب

بعد الانتصار الذي حققه يحي الميورقي على خصمه قراقش في محسن استطاع أن يسيطر على إفريقية وطرابلس الغرب مدة تبلغ حوالي عشر سنوات، دون مضايقة من أحد[2].

استمر ابن غنية في ثورته حتى تغلب على ابن عبد الكريم حاكم المهدية واستولى عليها سنة 597هـ، وفي هذه السنة استولى يحي بن غانية على تونس في ربيع الآخر، وامتد سلطانه على تبسة و القيروان، والجريد، وصفاقس وقابس، وطرابلس، وخطب في هذه المدن للعباسيين ببغداد. امتنع أهل نفوسة من دفع المغارم المفروضة عليهم، فذهب إليهم بنفسه، وأخذ منهم ألف دينار تنكيلا بهم ورجع إلى تونس. وتعالت شكوى أهل إفريقية من أعمال ابن غنية، واتصل بالخليفة الناصر بن يعقوب [3] ما حل بهم فخف إلى نجدتهم سنة 601هـ، وأحس ابن غنية بقدومه إليه، فذهب إلى قفصة، وأرسل أهله وأمواله إلى المهدية، وجمع العرب وأخذ عليهم العهد على نصرته والمحاربة معه، وأخذ رهائنهم على ذلك. وفي هذه السنة ثار عليه أهل طرابلس، وأخرجوا منها عامله تاشفين بن الغاني. ورجع إليهم يحي بن غانية فاحتل البلد وخربها[4].

وقدم الناصر في جموعه، ونزل حول المهدية، وأرسل الشيخ المقدس أبا مُحَمَّد عبد الواحد ابن أبي حفص[5] لقتال الميورقي فأدركه في جبال تاجرا بقرب قابس ودارت بينهم الحرب، فهزم الميورقي، وقتل في المعركة أكثر جنده، وفر يحي ابن غنية في نفر قليل إلى الصحراء. واستولى عبد الواحد على كل ما تركه ابن غنية وهي ثمانية عشر ألف حمل من المال والمتاع والآلات، ورجع به إلى الناصر، وهو ما يزال

---

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص103.

[2] إتوري روسي، المرجع السابق، ص111.

[3] مُحَمَّد الناصر كنيته أبو عبد الله، بويع له يوم وفاة أبيه يعقوب المنصور، وتوفي في شعبان سنة 610هـ، ودامت ولايته 15 سنة وأربعة أشهر، و19 يوما. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص249.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص104- 105، أنظر أيضا: إتوري روسي، المرجع السابق، ص110. أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص250.

[5] كنيته أبو مُحَمَّد، وهو جد الأمراء الحفصيين، وأول أمير منهم عين من قبل الموحدين، ولاه الناصر الموحدي على إفيقية في العاشر من شوال سنة 603هـ. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص253.

محاصرا المهدية وذلك سنة 602هـ. استمر الناصر على حصار المهدية حتى فتحها يوم 27 من جمادى الأولى سنة 602هـ، وولى عليها عبد الله بن إبراهيم ابن جامع.[1]

وعاد ابن غنية من صحراء برقة لمحاربة الموحدين في إفريقية واستولى على سويقة بن مذكور[2] وقبض على صاحبها، ولما بلغ طرابلس اجتمع عليه العرب من بني هلال وبني سليم، فخرج إليه عبد الواحد ابن أبي حفص، ومعه بنو عوف من بني سليم، وذلك سنة 604هـ فلقيهم بشبرو[3]، وكانت معركة حامية الوطيس، أسفرت عن هزيمة يحي بن غانية وأنصاره، وفر مجروحا بجهة طرابلس. ولم يلبث ابن غنية أن جمع أنصاره من الملثمين، وانضم إليه كثير من العرب، وجعل العرب نساءهم في المقدمة، وتحالفوا معه على دخول إفريقية. وفي سنة 606هـ، خرج إليهم عبد الواحد ابن أبي حفص والتقى به في جبل نفوسة، فلم يصمدوا لجيوش عبد الواحد وذهب ريح العرب وسبيت نساؤهم، ومات في المعركة خلق كثير من زناتة، والملثمين والعرب[4].

وفي هذه المدة كان قراقش يقيم في بودان[5]، وكان بينه وبين يحي بن غانية عداوة، فخاف يحي أن يأتيه من خلف، فتوجه إليه بمن استصحب من العرب الذبابيين، وحصره بها إلى أن فني طعامه وأعطى بيده سلما، واشترط على العرب أن يقتلوه قبل ولده وكان شديد المحبة له، فلما خرج هو وولده إليهم، قتلوه وقتلوا ولده بعده، وصلبه يحي تظاهر ودان وكان ذلك سنة 609هـ[6].

وفي سنة 621هـ، نرى ابن غنية من جديد يهاجم مواقع الموحدين، فيهزم مرة أخرى. ولم يعد الأمر يقوم على حملات منظمة، ولكنها غزوات كان يقوم بها سليل بني غانية اليائس، في المغرب

---

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص130- 131، أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص250- 251.

[2] سويقة بن مذكور: هي من البلدان الطرابلسية القديمة، كانت عامرة وذات أسواق كبيرة مشهورة، تبعد عن لبدة إلى جهة الشرق بنحو ثلاثين ميلا. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص252.

[3] شبرو موضع على مقربة من تبسة. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص253.

[4] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص253- 254.

[5] ودان: مدينة تقع على رأس جبل صغير كان بها سور وبه باب واحد يفتح إلى الجهة الشرقية وفي الجهة الغربية منه قلعة، وهي تقع على مسافة 534 ميلا إلى الجنوب من مدينة طرابلس وإلى شمال زويلة بنحو عشرة أيام. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص104.

[6] إتوري روسي، المرجع السابق، ص111. أنظر أيضا: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص250.

الأقصى حتى حدود مصر، بجيش من المرتزقة المغامرين [1]، ولما استقل أبو زكريا الحفصي [2] في إفريقية أعمالها ظل يطارد ابن غانية ويشرده في الأقطار فعاش بقية عمره مشردا مطرودا إلى أن مات في برية تلمسان سنة 631هـ، (أو سنة 633هـ)، وبموته انته أمر الملثمين من إفريقية والمغرب[3].

[1] إتوري روسي، المرجع السابق، ص112- 113.

[2] يحي بن عبد الواحد: كنيته أبو زكرياء، وهو مؤسس الدولة الحفصية وأول أمرائها، ولي إفريقية عاملا من قبل الموحدين سنة 625هـ، ولكن ما لبث أن أعلن استقلاله عليهم سنة 626هـ، وهو من كبار الأمراء الذين أنجبتهم إفريقية. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص256.

الدولة الحفصية: أسسها يحي بن عبد الواحد ودام ملكها إلى اليوم السادس من جمادى الأولى سنة 981هـ، ومدة ملكها 355سنة وأحد عشر شهرا، وهي فرع من دولة الموحدين ينتمي إلى يحي بن عمر الهنتاتي. وهنتاتة قبيلة بربرية تلتحق بالمصامدة التي هي من أكبر قبائل البربر بالمغرب الأقصى. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص256.

[3] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص 256. أنظر أيضا: د. إحسان عباس، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1967م، ص193-194.

المبحث الثاني: طرابلس الغرب تحت حكم الاسباني وفرسان مالطا 1510– 1551م

منذ عام 1327م دخلت طرابلس الغرب تحت سلطة الحفصيين الذين باشروا الحكم فيها من تونس بواسطة والٍ يعين من قبلهم وقد زال عنها حكم الحفصيين نتيجة لضعفهم في أواخر دولتهم وانقسام البيت الحاكم وطرد الوالي الحفصي علي بن عامر من طرابلس الغرب عام 1463م، وخضعت لسلطة أصحاب النفوذ من قبائلها المختلفة. وخلال هذه الفترة كثرت الثورات والنزاعات المحلية وانتشرت الفوضى والحروب، وأهملت الحصون والأسوار في المدينة فانتهز الأسبان الفرصة فقاموا بعدة هجمات على الساحل الإفريقي وخاصة بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين، متأثرين بالتيارات الدينية لمواصلة تعقب المسلمين إلى السواحل، في البحر الأبيض المتوسط من أجل بسط سيطرتهم عليها، وفي نفس الفترة ظهرت قوة جديدة على الساحة البحرية متمثلة في فرسان القديس يوحنا، الذين استطاعوا إحكام قبضتهم على طرابلس الغرب.

أولا: النفوذ الإسباني في حوضي المتوسط

بعد سقوط الأندلس سنة 1492م، صارت لإسبانيا الكلمة الأولى في حوضي المتوسط من خلال سيطرة مملكة فرديناند داراغونا الكاثوليكي على الوضع بالمنطقة، وحشدها الدعم الأوربي والبابوي في القضاء على آخر معاقل المسلمين في الأندلس ومتابعة حركة الفارين منهم إلى شمال إفريقيا تحت اسم "مطاردة الموريسكيين" وأصبح مضيق جبل طارق على حدود سبتة المغربية بمثابة الحدود الجنوبية لإسبانيا[1].

إن حركة السيطرة الإسبانية هذه، لم تكن مقتصرة على ليبيا فحسب، بل كانت ممتدة على حوضي المتوسط من المغرب الأقصى غربا وإلى سواحل طبرق شرقا أي إلى حدود ليبيا مع مصر فقد راح ضحية الضربات الإسبانية مسلمو الأندلس وسواحل المغرب الأقصى، وتونس، والجزائر، لا سيما بين 1492م و 1541م، كما كان الإسبان يرون أن السيطرة على جربة هي مفتاح السيطرة على طرابلس الغرب التي تعتبر بالنسبة إليهم القاعدة الخلفية لجربة للجوء إليها في حالات المعارك الضارية مع الجيوش العثمانية[2].

---

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص134.

[2] د. مصطفى عبيد، طرابلس الغرب من الاحتلال الإسباني إلى دخول العثمانيين (1510– 1551م)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد18، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الصادرة في 2015/09/01م، ص320.

ومن العوامل الكثيرة التي ساعدت الإسبان عل السيطرة على حوضي البحر المتوسط خلال الثلث الأول من القرن السادس عشر، قبل أن تصير القوة العثمانية ندا لها، ثم أنهت وجودها في مطلع الربع الأخير من القرن نفسه، حين تمكن العثمانيون نهائيا من ساحل شمال إفريقيا، بإستثناء بعض الموانئ والمدن التي كان الصراع عليها كبيرا، وآخرها مدينة وهران، التي كان الصراع حولها على أشده، حتى حررها العثمانيون من القبضة الإسبانية نهائيا سنة 1792م[1].

وقد كان أهم تلك العوامل على الأطلاق هو القوة الإسبانية لا سيما بعد وحدة فرديناند الكاثوليكي مع الملكة إيزابيلا، وكذلك الدور الذي لعبه الكاردينال خمينس الذي كان يكن عداوة صارخة للمسلمين ودائم الإلحاح على فرديناند بضرورة مطاردة المسلمين واحتلال سواحل شمال إفريقيا[2]، هذا إضافة إلى القوة التي كان الإسبان قد استفادوا منها في البحرية الإسلامية بالأندلس حين خبروا طرق المسلمين وأساليبهم الحربية في البحر [3]، والرغبة في المزيد من التوسع لا سيما بعد الاكتشافات البرتغالية والإسبانية في الأمريكيتين وفي إقريقيا[4]. كما كانت الرغبة في الوصول إلى ثورات المتمثلة في المعادن النفيسة التي كانت تستحوذ عليها تجارة الولايات الإيطالية مع دول شمال إفريقيا عن طريق القوافل القادمة إليها من إفريقيا جنوب الصحراء، وعن طريق موانئ البحر الأحمر، كلها كانت سببا في سيلان لعاب الإسبان في الحصول على تلك الغنائم، فأعلنت إسبانيا تبعية الولايات الإيطالية لها بتزكية من البابا، كما أعلنت تبعية فرسان القديس يوحنا لإمبراطورية شارلكان أيضا، تحت مظاهر الرغبة في نشر المسيحية التي كانت تؤيدها الكنيسة الكاثوليكية في إيطاليا. زاد من دعم ذلك كله إبرام شارلكان معاهدة كمبري سنة 1529م التي أنهى بموجبها الحرب مع فرنسا، والتي منحت له التفوق والإحترام في أوربا إضافة إلى مصاهرته مع ملوك بعض أوربا حيث زوجهم أخواته [5]، ضف إلى ذلك عامل مهم أيضا كان قد سهل من مهمة الإسبان في بسط نفوذهم على البحر المتوسط، وتهديد ساحل شمال إفريقيا، وهو المتمثل في ضعف وتفكك الدويلات المغاربية وريثة

[1] نفسه، ص320.

[2] شارل فيرو، المرجع السابق، ص73.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص134.

[4] إتوري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسي، موسسة الثقافة الليبية للتأليف والترجمة والنشر، ط1، طرابلس، ليبيا، 1969م، ص17.

[5] د. مصطفى عبيد، المرجع السابق، ص320.

الموحدين بالمنطقة حيث لم يكن لا الحفصيون، ولا الزيانيون، لهم القدرة الكافية للدفاع عن سواحلها ومنع الخطر الإسباني عليها [1]، ومن المناسبات التي انتهزها الإسبان للتعجيل باحتلال طرابلس أنه في سنة 916هـ، وقع خلاف بين أحمد الحفصي وبين والده الناصر، فذهب إلى الإسبان يستنجدهم على أبيه، واتفق أن جاء تجار من الإسبان كانوا في طرابلس، وأخذوا يغرون حكومتهم بأطرابلس، ويقللون من شأنها في الدفاع عن نفسها[2].

في ظل عزم الإسبان على احتلال الساحل الإفريقي و الاستقرار فيه، وذلك بناء على ما جاء في مراسلة فرديناند في ماي 1510م إلى الدون بيدرو نافارو والتي جاء فيها ما يلي: "أظن أيضا على حسب ما أعلمتموني به، أنه يتعين علينا القيام بعدة حملات إذا أردنا السيطرة على إفريقيا، وينبغي أن نحتل مدينة وهران وبجاية وطرابلس، وأن نسكنها بالمسيحين"[3].

ثانيا: الحملة الإسبانية على طرابلس واحتلالها

كان للعلاقات التجارية بين طرابلس وإسبانيا دور كبير في وقوع طرابلس تحت الاحتلال الإسباني، حيث لعب تجار إسبانيا دور المخابرات، ومما ينقل عنهم أنهم أعلموا فرديناند الكاثوليكي عن عجزهم في الدفاع عن أنفسهم، ويبالغون قي وصف ثروتها الهائلة، وما فيه أهلها من التنعم الذي أدى إلى انحلال رجولتهم وتركهم لكل ما يستعمل في الحرب حتى المدى، بقولهم: "ما رأينا بلدا أكثر منها مالا وأقل سلاحا وأعجز أهلا عن مدافعة العدوا". وهو الوصف الذي حمس فرديناند على شن حملة على طرابلس، وأخذوا يعدون له العدة[4].

ومع حلول القرن السادس عشر ميلادي، وبالتحديد في سبتمبر 1505م وجه الأسبان أنظارهم نحو السواحل الجزائرية، لمهاجمتها واختار الملك فرديناند لقيادة هذه الحملة التي أبحرت من مالطة متوجهة نحو الضفة الجنوبية من البحر المتوسط القائد « دون ديجو » الذي كان على رأسه

[1] محمد علي داهش، الدولة العثمانية والمغرب (إشكالية الصراع والتحالف)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2011م، ص14.
[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص136.
[3] شارل فيرو، المرجع السابق، ص74.
[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص136.

عشرة آلاف مقاتل[1]، فاتجهت هذه القوة إلى ميناء المرسى الكبير، وبعد معركة مع القوات المدافعة أحتل الإسبان الميناء وأخذوا يعملون لتثبيت أقدامهم فيه ولجعله نقطة انطلاق لإحتلال المناطق الأخرى في الشمال الأفريقي التي كانت أنظارهم تتجه إليها[2]، وجاء في كتاب جان كلود وفي 17 مارس 1509م استولى الكونت "بدر ودي نافاروا" على وهران، ثم في جانفي 1510م نفس القائد احتل بجاية، ومن نفس السنة وفي شهر ماي عقد السلطان الحفصي تونس اتفاقية مع الملك الكاثوليكي أعلن تبعيته له[3].

حيث كان الهدف من إحتلال الإسبان للسواحل الجزائرية هو الوصول إلى طرابلس الغرب والسبب من إحتلال هذه الأخيرة رغم بعده وصعوبة الوصول إليه كانت بالدرجة الأولى سبباً استراتجيا، وبما أن كل من نابولي، وصقلية، ومالطا كانوا مواليين للإسبان، بحيث تم تقسيم البحر الأبيض المتوسط إلى قسمين، ومنع الأتراك من الوصول إلى الجزء الغربي منه، وفي تلك الفترة بدأت طرابلس تشتهر بنشاطها التجاري مع المشرق والمغرب، وكذلك مع الداخل، وفي نفس السياق يضيف الكاتب جان كلود زليتنر في كتابه **"طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا"** : "على طول العصور، كانت تجارة واسعة في هذه المدينة بسبب قرب نوميديا وتونس بالإضافة إلى عدم وجود مثيل لها على امتداد الشاطئ حتى الإسكندرية واعتاد التجار من مالطا، والبندقية، وصقلية استعمال مينائها .كما كانت تكثر في المدينة المساجد والمدارس، والمستشفيات والشواطئ، وكانت الشوارع أكثر تنظيما من الشوارع في تونس "[4].

إلا أن الحملة على طرابلس الغرب اختلفت على الحملات السابقة فالقوات الإسبانية لم تقم بها بمفردها كالأخريات وإنما أشركت فيها قوات إيطالية وجعلتها تحت رعاية نائب ملك صقلية، وهو ما لم تفعله في غزوها للمدن الأخرى، وفي رسالة وجهها الملك فرديناند إلى الكونت "بدرو نافارو" في ماي 1510م، يذكر فيها استعداداته لهذه الحملة وكذا مشكلة تموين الجند والتدابير التي اتخذت

[1] خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للكتاب، ط3، 1997م، ص66-67.

[2] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط1، الجزائر، 1955م، ج2، ص182- 183.

[3] إتوري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، المرجع السابق، ص17- 18.

[4] جان كلود زليتنر، طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا 1500- 1795م إفرنجي، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، مصراتة، 2001م، ص28- 29.

لحلها والاحتياطات التي يجب على "بدرو نافارو" إتخاذها في المستقبل لضمان استمرار التموين بطرق أيسر من إمدادها من اسبانيا ذاتها أو من ايطاليا إلى جانب الاحتياطات العسكرية التي يجب اتخاذها لحماية هذه القواعد البحرية، ومنع الأهالي من دخولها أو التجول فيها.

وفي 7 جوان 1510م، أبحر "بدرو نافارو" من بجاية إلى جزيرة في صقلية تدعى "فافينياني" بأسطوله وعلى متنه ثمانية آلاف جندي تاركا حامية في بج اية لحراستها والدفاع عنها. وبقي فيها منتظرا وصول سفن كل من مملكتي نابولي وصقلية وجندها التي ستشارك في الحملة على طرابلس[1]، ولم ينطلق منها إلا في 15 جويلية وحسب الخطة عرج على" قوزو " أحدى جزر مالطة فإسطحب معه عدد من الخبراء والأدلاء المالطيين الذين لديهم معرفة سابقة بطرابلس وخبرة بسواحلها، نذكر من هؤلاء الخبراء المرشد البحري المالطي "جوليانو أبيلا"، في حين انضمت خمس مراكب للسفن الحملة من مالطا إلى أن بلغ عددهم 120 سفينة، بين كبيرة وصغيرة محملة بخمسة عشر ألف جندي إسباني وثلاثة ألاف من الإيطاليين و مالطيين، وقد أعدت هذه الحملة بإشراف نائب الملك في صقلية، وبإعانة الجيوش الصقلية و الإيطالية[2].

تسربت أخبار هذه الحملة إلى طرابلس قبل حركتها بنحو شهر، فأخذ الناس في الهجرة منها إلى غريان، وتاجورة، ومسلابة، وأخذوا معهم كل ما كان مهم من أموالهم، وما أمكنهم من أثقال متاعهم، وكانوا ينقلونها على الجمال، ولم يبقى بالمدينة إلا المحاربون وشيخ المدينة عبد الله بن شرف وأهله، وبعض السكان الذين لم يقدروا على الفرار وهم العائلات اليهودية [3]، وانحازوا إلى قصر الحكومة والجامع الكبير، وصعد المحاربون فوق الأسوار وعلى القلاع[4].

دخلت الجيوش الإسبانية المقدرة بستين سفينة إلى جانب الزوارق الحربية والمراكب بمجموع 15 ألف جندي إسباني، وثلاثة ألاف جندي إيطالي، وعدد من المرتزقة والمغامرين[5]. بقيادة الدون "بيدرو

---

[1] محمد مصطفى بازامه، ليبيا في عشرين سنة من حكم الإسبان (1510- 1530)، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1965م، ص50، 53.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص136- 137. أنظر أيضا: محمد مصطفى بازامه، المرجع السابق، ص54.

[3] العائلات اليهودية التي كانت تسكن حارة كوديخة اليهودية، وهي قريبة مما نسميه اليوم الباب الجديد. أنظر: ابن غلبون،المصدر السابق، ص137.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص137.

[5] خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص67.

دي نافارو" مدينة طرابلس في يوم شديد الحر، مقدس عند الإسبان ويوافق يوم القديس جاك الرسول وهو يوم 25 جويلية سنة 1510م[1]، وكانت خطة النزول إلى البر أن قسم الجيش إلى قسمين: فقد كلف أربعة آلاف جندي منه بمهاجمة العرب خارج المدينة لقطع الاتصال بينهم وبين من بداخلها، وكلف باقي الجيش بمهاجمة داخل المدينة، ومن على الأسوار وفي القلاع[2].

أنزلت الجيوش في القوارب، وكانت بقيادة "بدرو نافارو". وفي الساعة التاسعة صباحا ابتدأ الهجوم، وأطلقت السفن مدافعها على الأسوار وقصر الحكومة، ونزل الجيش المكلف بمنع العرب من الاتصال بالمدينة إلى البر بجهة سيدي الشعاب، واندفع الجيش الاسباني نحو المدينة تحميه مدافع الأسطول، فاحتل البرج القائم على باب العرب بعض الأسوار، وتمكن الإسبان من فتح باب السور، واتصل الجيش الداخلي بالجيش الخارجي، واستبسل الطرابلسيون في الدفاع وانحاز أكثر المدنيين إلى القصر والجامع الكبير[3].

سقطت إثر مقاومة بطولية وصفتها الكتابات الإسبانية فقال القائد نافارو: "كان هناك عدد كبير من الموتى بين العرب، وهم من الكثرة بحيث لا تجد موطئا لقدمك إلا فوق الجثث، ويقدر عدد القتلى من العرب بخمسة ألاف، والأسرى بأكثر من ستة ألاف"[4].

وقد كان أكثر الشهداء بالجامع الكبير الذي سقط فيه أفان من الرجال والنساء والولدان بعد أن التجئوا إليه من جراء وحشية دخول الجيش الإسباني إلى المدينة، والقتلى من الإسبان كانوا ثلاثمائة رجل، وكان من بينهم كولونيل كبير في الجيش وأميرال الأسطول، وشخصية أخرى كبيرة من النبلاء، ولم يحصل الإسبان على شيء مما كانوا يمنون به أنفسهم من ثروة الطرابلسيين، لأن الأغنياء تمكنوا من نقل أموالهم إلى الخارج [5]. فيما أسر الشيخ سي عبد الله بن شرف وزوجته وأبناؤه، ونفوا إلى ميسينا بصقلية، وبقوا هناك نحو عشر سنوات، فيما نفي الآخرون إلى باليرمو التي وصلها أكثر من 1400أسير، باعهم الإسبان في سوق النخاسة في المزاد العلني عبيدا بأسعار تراوحت بين 03 إلى

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص137. أنظر أيضا: خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص67.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص137.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص137. أنظر أيضا: شارل فيرو، المرجع السابق، ص76.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص138. أنظر أيضا: خليفة محمد التليسي، المصدر السابق، ص68.

[5] ابن غلبون، المصدر السابق، ص137. أنظر أيضا: إتوري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، المرجع السابق، ص22.

05 دوقات[1]، على عكس اليهود الذين اشترتهم يهود مثلهم وحرروهم، فيما أطلقوا سراح 150 من الأسرى المسحيين الذي كانوا بطرابلس[2].

ثالثا: العهد الإسباني في طرابلس الغرب

إن مدينة طرابلس الغرب كانت مدينة مزدهرة شاعت لها سمعة الرفاهية والرخاء لدى الأوربيين مما يعكس بصورة واضحة في تلك الفرحة التي عمت الأوساط المسيحية لوقوع هذه المدينة في قبضة الإسبان وما كان لها من صدى كبير تجلى في المظاهرات التي نظمت في بعض مدن ايطاليا، وتم بنظيم موكب ديني، وكان "رودس" "ودوق البندقية"، و"شارل الخامس الإسباني" و"المرشد الأكبر لفرسان القديس يوحنا"، يتبادلون التهاني فيما بينهم وهذا دليل على الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية التي كانت تتمتع بها المدينة[3]. كما كانت محصنة تحصينا جيدا قويا منيعا في أسوارها التي تحيط بها وأبراجها العالية، وهي ذات مواقع دفاعية ضخمة، وجاء ذلك في رسالة بعثها الكونت "بدر ودي نافارو" إلى نائب صقلية، ينقل فيها خبر احتلال المدينة ووصفها قائلا: "**سيدي، إن هذه المدينة لهي أكبر في واقعها مما كنت أتصور، ورغم أن الذين يشيدون بها ويطرونها يتحدثونا عنها حديثا حسنا، إلا أني أرى أنهم لم يقولوا إلا نصف الحقيقة، وبين المدن التي رأيتها في هذا العالم لم أجد مدينة تضاهيها سواء في نظافتها أو تحصيناتها حتى لتبدو معها مدينة امبراطور أكثر منها مدينة لا تنتمي لأي ملك خاص**" وهذه الرسالة جاءت بعد احتلالهم مدينة طرابلس والأهمية البالغة التي عرفت بها[4].

عمد الإسبان إلى تحصين المدينة، وإحاطتها بالأسوار بها بعد أن هجروا سكانها، كما قاموا بتحويل القصر الموجود داخلها إلى كنيسة سميت كنيسة القديس "ليونارد"، وخربوا المدينة، ففقدت أهميتها التجارية، وتحولت إلى قاعدة عسكرية رئيسية للتحركات البحرية الإسبانية في المتوسط[5].

---

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص139.

[2] إتوري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، المرجع السابق، ص23.

[3] خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص69.

[4] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص171.

[5] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى- ليبية) 2ج، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2000/1999م، ج2، ص151.

بدأت التحركات الإسبانية لاحتلال الموانئ المغربية انطلاقا من مدينة طرابلس الغرب، فكانت أول حملة بحرية عام 1511م، لاحتلال جزيرة جربة لكنها فشلت[1].

أدرك السلطان الحفصي بتونس أبو عبد الله مُحَمَّد بن الحسن، أن الأسبان تعمل على السيطرة على كامل السواحل شمال الإفريقي، فعمل على إتخاذ الاحتياطات اللازمة للدفاع عن أرضه ومساعدة الطرابلسيين وتقديم الدعم لحلفائه من أجل التصدي للخطر الإسباني، فجمع جيشا كبيرا بقيادة مُحَمَّد أبي الحداد وهو من أكبر قواده، ووصل إلى طرابلس ونزل خارج السور، وانظم إليه المحاربون الطرابلسيون، وهاجموا المدينة في فيفري سنة 1511م، وحاصروها وقد دام الحصار سبعة أشهر، ثم مات أبو الحداد وتفرق الجيش[2]. فشلت محاولاتهم في استرجاع المدينة التي ألحقت في سنة 1511م، بمملكة صقلية وأخضعت مباشرة لحكومة نائب الملك الذي كان يقيم بصقلية، وذلك لقرب مركز المدينة من هذه الجزيرة. وتنازل حاكم طرابلس الإسباني الدون "خايمي ريكيزنس" عن منصبه إلى دون "غيلليم دي مونكاد" شقيق نائب الملك.مع العلم أنهم قاموا بمجموعة من الغزوات في ضواحي طرابلس عائدين بغنائم كبيرة سلبها من القبائل المجاورة، وبإقامة تحصينات حول طرابلس، إلا أنهم لم يذكروا استيلائهم على تاجوراء[3].

سيطر الأسبان على التجارة حيث احتكروا لصالحهم في تلك المناطق، فطبق نظام الجمارك في طرابلس والتي صدرت عن نيابة الملك بصقلية خلال (1511- 1512- 1513م)، فعين مسؤول جمركي، أو أمين جمرك، يساعده مخزن ومحصلان ومحرر ومباشران، وقد نصب"ديجو دي أوبرجن" أمين المخزن الاسباني سنة 1521م، وكانت الضريبة المفروضة على البضائع المتبادلة بين العرب والمسيحيين تشكل نسبة عشرة في المئة، و تعفى من الضريبة المواد التموينية الخاصة بجند الحامية، كما تجبى عن الغنائم البحرية التي يحملها القراصنة المسيحيون للبيع في أسواق طرابلس، بنسبة عشرة في المئة بالإضافة إلى حقوق الأميرالية. فقد كان يدفع الجربي للجمرك نفس ما يدفعه الرعايا الآخرون التابعون لصاحب الجلالة، وكانت مدينة البندقية التي تبعث بسفنها إلى طرابلس لعرض بضائعها، تدفع ضريبة باهضة، ولقد احتج تجار البندقية من هذا الإجراء في سنة 1518م،

[1] مُحَمَّد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، مكتبة دار الشرق، ط1، بيروت، 1969م، ص20.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص144.

[3] شارل فيرو، المرجع السابق، ص84.

لدى الملك شارل الخامس بواسطة السفير كورنارو، ولهذا لم تعد المراكب البندقية تجد من المناسب لها التوقف في طرابلس، وتحولت إلى الرسو في رأس مصراتة شرقي طرابلس للمتاجرة مع الأهالي[1].

وقد أخذ الوضع التجاري بطرابلس ينهار بسرعة بسبب هذه الإجراءات التعسفية الضيقة، التي قللت من عدد السفن المترددة على ميناء طرابلس، وبسبب الأوضاع العامة في البلاد وعزلة المدينة، بسبب الحصار المضروب حول أسوار المدينة، أدى إلى كساد التجارة وبوارها، وانصراف التجار الواردين إلى موانئ أخرى في البحر الأبيض، وانقطع منها تجار الصادر لفناء الثورة وانقطاع العمل .

وكان لهذه الصعوبات سبب في تناقص دخل الحكومة قي مدينة طرابلس الغرب، كما أن انشغال الناس بحرب الأسبان عن أعمالهم ومتابعة نشاطهم في الزراعة والصناعة، والتجارة، فعم الخراب والفقر، مما يجعلها غير قادرة على إدارة البلاد وصرف عليها وتوفير حاجياتها[2].

رابعا: تحول في السياسة الإسبانية في طرابلس الغرب

كانت أخبار نشاط الأسطول العثماني في شرقي حوض البحر الأبيض المتوسط قد انتشرت وامتدت أطماع الترك إلى الناحية الغربية منه، وأسندت قيادة الأسطول التركي إلى رجال ذوي مقدرة وشهامة، مثل خير الدين بربا روسا [3] وغيره، وكانت أرواحهم متشبعة بحب الدفاع عن حوزة الإسلام وكرامة معتنقيه، ووصلت بعض قطع الأسطول التركي إلى مياه الطرابلسية سنة 1512م، وكان لما أبداه من جرأة، ولما لاقاه الإسبان من عدم النجاح في التغلب على الطرابلسيين رد فعل كبير فيما كان يبديه الإسبان من تحمس لامتلاك طرابلس يضاف إلى هذا الهزائم الشنيعة التي لاقوها في فتح جزيرتي جربة وقرقنة، فقد كانت هذه الأسباب مجتمعة ومتفرقة من الأسباب التي حملت ساسة الإسبان على التفكير في تغيير سياستهم نحو طرابلس، بل ونحو الشمال الإفريقي كله[4].

ففي سنة 1513م عين ملك إسبانيا على طرابلس الغرب "دون هوجو دي مونكادا" حاكما على طرابلس (مدى الحياة) بمخصصات سنوية قدرها إثنا عشر ألف دوكاتو لمواجهة النفقات

---

[1] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص182- 183.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص144- 145.

[3] خير الدين بربروس وشقيقه عروج، قدموا من جزيرة لسبوس في إستنبول، وعرفوا لدى الأوربيين بباربا روسا، أي ذو اللحية الحوراء، أحد أكبر قادة الأساطيل العثمانية وأحد رموز الجهاد البحري، تولى خير الدين منصب حاكم إيالة الجزائر. أنظر: شارل فيرو ، المرجع السابق، ص85.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص145- 146.

اللازمة. وكانت طرابلس في ذلك الوقت تابعة لصقلية وقد بعث نائب الملك في سنة 1512م، النبيل الصقلي "جيوفاني فرانشسكو باترنو" ليتولى حكمها لاسمه، وقد أقام بها عدة أعوام وعرف بدفاعه عن المدينة، وتعميها بعائلات صقلية فاصدر مرسوما ملكيا في 26 أكتوبر 1513م، يصرح فيه إلى كل من يرغب في الهجرة إلى طرابلس الغرب يمنحهم بيوتا ملائمة وكذا مساحات من الأراضي الصالحة للزراعة، وأنه يعفيهم من الضرائب ويبرئهم من جميع الجرائم المدنية أو الجنائية عدا الجرائم الخطيرة . وبموت "فردناند" الكاثولوكي سنة 1516م، وفقدان الكاردينال خمينس سنة 1517م، أهملت إسبانيا حملاتها على إفريقية، وقد انهمك شارل الخامس الإمبراطور في صراعاته بإيطاليا، ومزاحمة منافسه الأول، فرانشيسكو الأول، ملك فرنسا[1]. وقد جرت أحداث كثيرة في طرابلس في تلك الفترة ولم يذكر منها إلا القليل، منها الخسائر الفادحة والمسجلة في وباء الطاعون الذي أصابها في سنة 1523م[2].

وانتشر اسم الأخوين بربروسا قائد الأسطول التركي في الممالك الأوربية في تونس بموافقة سلطانها الحفصي مُحَمَّد، وحصلا على الإذن باستخدام "حلق الوادي" قاعدة لعملياتهما مع الالتزام بتقديم خمس الغنائم إلى السلطان، يهددان الممتلكات الإسبانية في إفريقيا، وفي سنة 1514م هاجم بأسطوله بجاية، وفي سنة 1515م هدد بربروس طرابلس، وفي نفس السنة سجل ظهوره بثلاثة مراكب أمام تونس، وفي عام 1516م احتل الجزائر وتولى حكمها عروج بربروسا[3].

وقد ضاق الحال بالإسبان في طرابلس، وأفلست سياسة العنف التي كانوا يستعملونها في داخل المدينة وخارجها، ولم يبد من الطرابلسيين أي فتور في الدفاع عن بلادهم، فعمد الإسبان إلى محاولة جديدة وهي العفو عن الشيخ عبد الله شيخ المدينة، فأطلقوا سراحه حوالي سنة 1520م، بعد أن قضى عشر سنوات في المنفى[4]. والظاهر أن الطرابلسيين الذين فروا إلى الضواحي عند نزول الإسبان وكانوا جيوش المقاومة عازمين الأمر على أن لا يرجعوا إلى بلادهم إلا إذا أطلق سراح شيخهم ورجع

[1] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص183- 184. أنظر أيضا: ابن غلبون، المصدر السابق، ص146.

[2] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص184.

[3] نفسه، ص188.

[4] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص185. أنظر أيضا: ابن غلبون، المصدر السابق، ص146.

إلى بلده، إلا أن نائب الملك "دون هوجو" لم يستمع إلى طلبهم، محاولا تعمير البلاد بالمسحيين الصقليين[1]، ثم اقتنع بإطلاقه وحاولوا أن يستغلوا نفوذه في إخضاع الطرابلسيين، ورجع على إثر رجوعه نحو خمس مائة عائلة، ولكن لم يجد في معاملة الإسبان ما يشجعه على البقاء معهم فلم يلبث أن فر والتحق بالمجاهدين في تاجوراء[2].

وقد توقع الإسبان من هروب الشيخ عبد الله أن ينظم صفوف المجاهدين ويذكي روح المقاومة فيهم، وكانوا يحسبون أكبر حساب لهجوم الأسطول التركي عليهم في طرابلس، مما زاد في تخوفهم من ازدياد نشاط المجاهدين في مقاومتهم. وقد حملهم هذا الخوف على إجراء بعض الإصلاحات في الحصون والقلاع، وقصر الحكومة والميناء. وكانوا في حاجة إلى الحجارة، فهدموا بيوت بعض المهاجرين، واستعملوا حجارتها في البناء، وكان اهتمامهم بناحية السور الجنوبية أكثر، لأنهم كانوا يحسبون حساب التل الجنوبي الذي يسمونه الآن الظهرة، لأنه مكان مرتفع، فإذا وضع عليه مدفع أصبحت المدينة في خطر. وكل هذه التحصينات لم تهدئ من روح الإسبان، ولم تبعث في نفوسهم الطمأنينة إلى البقاء في طرابلس، ولذلك ما كادت منظمة فرسان القديس يوحنا تطلب ضم طرابلس إليها حتى أجاب الإسبان هذا الطلب[3].

خامسا: تنازل الإسبان عن طرابلس الغرب إلى فرسان مالطا

وقبل الخوض في أحداث الفترة الأخيرة من حكم الإسبان بطرابلس، علينا ترجيح قليل بنسب هذه الفرقة المسيحية الجديد والتي أبدت نشاطها بالمدينة، فتذكر المصادر على أنها كانت عبارة عن مؤسسة بدأت حياتها كمنظمة خيرية دينية في مدينة القدس، قبل الحروب الصليبية وكانت مهمتها مساعدة الفقراء والمحتاجين خصوصا الحجاج المسيحيين الذين يزورون فلسطين، وقد تحولت الهيئة في زمن الحروب الصليبية إلى منظمة دينية فرسانية وضعت تحت وصاية القديس يوحنا "باتيسيا" فأطلقوا على أعضائها اسم "اسبتارية" نسبة إلى أعمال الإستشفاء التي يقدمونها، فظل تدخلهم في شؤون المستشفيات هو طابع الغالب على نشاطهم. غير أن للفرسان كانت لهم مهام وعمليات عسكرية

[1] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص185.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص146- 147.

[3] نفسه، ص147.

تعهدت على نفسها بالدفاع عن بيت المقدس، فاقتطعت لنفسها بعض الأراضي، وأقامت عليها ثكناتها وتنظيماتها العسكرية لمعالجة الجرحى[1].

وبعد إنتهاء الحروب الصليبية وإنتصار "صلاح الدين الأيوبي" على الصلبيين وتحرير بيت المقدس من المسيحيين طرد المنظمة من القدس سنة 1187م، فاضطرت نقل مركزها إلى عكة وهنا بدأت باضطهاد المسلمين، فبقوا فيها إلى غاية طردهم للمرة الثانية سنة 1291م، فاضطروا بعدها للانتقال إلى جزيرة رودس. استقر الفرسان في الجزيرة سنة 1306م، وكانوا سابقا احتلوا جزيرة قبرص لكنهم انسحبوا منها لأنها لا تصلح أن تكون مقرا دائما لهم، وأيضا لا تساعدهم على تحقيق ثأرهم من المسلمين ولا تضمن لهم أهدافهم الانتقامية[2].

فأسسوا بالجزيرة مملكة مسيحية بكيان دولة مدعومين من بابا روما، مع العلم أنها لد تعد تقوم على نفس المبادئ التي أسست من أجلها، فانقلبت إلى عصابة من القراصنة في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، وإعاقة النشاط العسكري البحري للعثمانيين والحد من حركاتهم، صمم وقتها السلطان سليمان القانوني[3] على طردهم من الجزيرة ففي سنة 1522م أمر الأسطول بالتوجه إلى رودس، وبعد حصار ستة أشهر أضطر فرسان القديس يوحنا الإستسلام ومغادرتها سنة 1523م، والتي تعتبر آخر جبهة للمسيحيين وكانت من أجل المراكز لدى الفرسان وعند شعور هذه الأخيرة بالخطر اتجهوا إلى" شيفيتافيكا"، بإيطاليا بدعوة من البابا" كليمنت السابع" فشيدو كنيستهم في "فيتربو" قرب روما، ولكن الفرسان كانوا يخافون البقاء في إيطاليا لأن هذا قد يبعدهم عن تحقيق طموحهم من السيطرة والسيادة على البحر الأبيض المتوسط، وكذا إقامة دولة صليبية للقرصنة[4].

وقد رأى رئيس المنظمة الأب فليب أن يطلب إلى شارل الخامس إمبراطور المملكة الرومانية منحه جزيرة مالطة وقوزو، لأنهم رأوا أنهما أليق مكان لغزو البلاد الإسلامية الذي يتعطشون له دائما،

---

[1] إتوري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، المرجع السابق، ص44-45.

[2] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص188- 189.

[3] السلطان سليمان القانوني: هو سليمان بن سليم الأول، تولى الحكم سنة 926هـ/ 1520م، واستمر حكمه مدة ست وأربعين سنة كاملة، وهي أطول فترة مقارنة مع سلاطين الدولة العثمانية، تميز عهده بالعدل والقوة والنظام والجهاد والعمران والازدهار الحركتين الأدبية و العسكرية، أثر على أوربا حتى أطلقت عليه اسم سليمان القانوني. أنظر: محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، ط3، دمشق، 2012م، ص89.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص148.

وهنا سنحت الفرصة لشارل للتخلص من طرابلس [1]، فبفعل الظروف التي سادت المتوسط آنذاك، ومنها خبرة فرسان القديس يوحنا وسكان ولايات إيطاليا الجنوبية في الصراع في هذه المنطقة، وكذا الخناق الدولي الذي أصبح مفروضا على شارلكان، ومنه التضييق العثماني في سواحل المغرب العربي، وصراعه مع فرانسوا الأول الفرنسي، وتعدد أطماع البرتغال في سواحل البحر الأحمر، وظهور حركة مارتن اوثر التي استقطبت المسحيين وجعلتهم يلتحقون به منفصلين بذلك عن البابا وكنيسة روما... كل ذلك دفع شارلكان، وبعد تدخل من البابا، إلى تسليم طرابلس إلى فرسان القديس يوحنا [2]. فانتهز الفرصة وقبل طلب الفرسان على شرط أن يتولوا الدفاع عن مدينة طرابلس. وقد أدرك فرسان القديس أنهم إذا قبلوا هذا الشرط، فسيتعرضون لحرب طويلة مع الطرابلسيين، وهجوم شديد من الترك سيكون مصيرهم فيه مصير هجوم رودس، وأصر شارل الخامس على قبول هذا الشرط فلم يجدوا بدا من قبوله، فقبلوه على كره[3].

أرسل المرشد الأكبر ثمانية من الفرسان لزيارة جزيرة مالطة، وقورز، ومدينة طرابلس الغرب، وقدموا تقريرا عن أحوال قلعة ومدينة طرابلس الغرب، وهذا التقرير يصف طرابلس في أواخر العهد الإسباني، وما يتعلق بالحالة المالية في البلاد، وما يتعلق بالميناء، وكذا العرب الذين اضطروا إلى البقاء داخل أسوار المدينة، وبعد مفاوضات طويلة بين المرشد الأكبر للفرسان والإمبراطور شارلكان انتهت بتوقيع الإمبراطور في 24 مارس 1530م، المرسوم في كاستل فرانكو مينيتو، الذي سلم بموجبه شارلكان مدينة طرابلس الغرب لفرسان القديس يوحنا[4].

استقرت المنظمة في طرابلس الغرب كما عملت على تحصين المدينة وزيادة استحكاماتها الداخلية والخارجية، وإعادة ترميم الأسوار والقلاع الدفاعية وكان الأهالي هم من تحمل مسؤولية البناء و الترميم تحت سياط الفرسان، كما عملت هذه الأخيرة على ظلم وتعذيب الأهالي مباشرة بعد

[1] نفسه، ص148- 149.

[2] مُحَمَّد علي داهش، المرجع السابق، ص16.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص148- 149.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص149، 151. أنظر أيضا: إتوري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، المرجع السابق، ص50، 52.

حصولهم على وثيقة التنازل الرسمية من الملك الإسباني وجاء في الوثيقة على أن تكون مالطة مركزا رئيسا لمنظمتهم الدينية وطرابلس الغرب مقرا عسكريا لهم[1].

سادسا: حكم فرسان مالطا في طرابلس الغرب

تسلم فرسان القديس يوحنا طرابلس من الإسبان في 25 جويلية 1535م[2]، وأصبح أمامهم مسؤولية النهوض بأعباء قلعة هامة، وتحصين المدينة والتصدي للتهديدات المستمرة من البر والبحر هذا من جهة، ومن جهة أخرى الأوضاع القلقة للمنظمة التي لم تنتظم شؤونها في مقرها الجديد في مالطا، وحدوث بعض الانقسامات في الفرسان أنفسهم، وكان لهذه الأحداث سببا في جعل من يتولى حكم طرابلس يكون ذو شأن وشجاعة[3]. فعينوا عليها واليا هو القسيس "جسباري دي سنقوسا" خلفا للإسباني فريديناند ألاركون[4].

كان تصرف فرسان مالطا يوحي بأن التغيرات التي يحدثونها في معالم المدينة، تدل على أنهم يسعون للاستقرار في مدينة طرابلس بصورة دائمة، وإبقائها مقرا دفاعيا لهم، ، فأطلق الفرسان أسماء على البرجين اللذين يقعان في الناحية الشرقية للمدينة اسم القديس" جورج" والآخر اسم القديس "جاكومو"، أما الساحة الواقعة بينهما أطلقوا عليها اسم القديسة "بربرا". على أثرها بدأ الفرسان تحركاتهم العسكرية البحرية والبربرية منها، وقاموا بملاحقة الأهالي والضغط عليهم بقصد إرهابهم وترهيبهم لتهجيرهم منها، ولم يستطع السكان يحمل الممارسات الوحشية، ففروا إلى تاجوراء ومنها بدؤوا يعدون أنفسهم لمقاومة الغزاة الجدد[5].

في سنة 1531م منح خير الدين بربروس لقب بيلرباي الجزائر من طرف السلطان العثماني، بهدف إخضاع إفريقيا الشمالية للسيطرة العثمانية، فبعد تأسيس الإيالة الجزائرية وانضمامها الرسمي للدولة العثمانية ألقي على عاتقها مهمة تحرير طرابلس الغرب وتونس من الاحتلال الإسباني وقد تحملت الإيالة الجزائرية عبء هذه المسؤولية في ظل أوضاع دولية وإقليمية خطيرة، تميزت بتعاون جزائري

[1] محمود علي عامر ومُحَّد خير فارس، المرجع السابق، ص155.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص151.

[3] إتوري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، المرجع السابق، ص59.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص151.

[5] محمود علي عامر ومُحَّد خير فارس، المرجع السابق، ص155.

عثماني في مواجهة الخطر الإسباني في الجهة الغربية للمتوسط، وبعد تحرير الجزائر لمعظم سواحلها انتقلت للدفاع عن جيرانها بمباركة ومؤازرة الدولة العثمانية[1].

في سنة 1533م مات في مالطا المرشد الأكبر "ليزدي أدامو" وقد أدرك فرسان القديس يوحنا خطر العثمانيين خاصة بعد دخول خير الدين لتونس في أوت 1534م، وقد تميزت العلاقات بين الطرفين طرابلس الغرب وفرسان القديس يوحنا بالعداء الدائم، نتيجة للممارسات التعسفية ضد السكان المحليين[2].

لم يهدأ للعثمانيين بال وهم يرون طرابلس الغرب تحت نير الاحتلال الإسباني، ولذلك كانوا يحاولون المرة تلوى الأخرى لتحريرها، فقد تمكن خير الدين من مهاجمة طرابلس سنة 1531م، لكن الإسبان بقيادة "جاسبارو دي سانجنسيا" استطاعوا الثبات ورد هذا الهجوم، لذلك توجه خير الدين إلى تاجوراء لتأديب بعض القبائل العربية المتعاملة مع قوات الفرسان يوحنا، فحررها وتم تولية قائد من رجاله اسمه خير الدين كرمان، وترك معه بعض الأسلحة، والجنود، والقطع الحربية[3].

قاد حاكم طرابلس "أوراليو بوتيجلا" في محرم من سنة 943هـ/ 1536م، حملة ضد مدينة تاجوراء، بعد أن تلقى نجدة من مالطا، قدرت بأربعة مراكب، وخمسمائة وخمسين مقاتلا، هاجموا المدينة، ونهبوا وسلبوا، وقتل خير الدين كرمان في الصراع، فعين خير الدين بربروس قائدا آخر، وهو مرادآغا. وتذهب المصادر الإسلامية أن سكان تاجوراء أرسلوا جماعة من الأعيان على متن سفينة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني، يطلبون منه الإعانة من أجل مساعدتهم في تحرير مدينة طرابلس من احتلال فرسان قديس يوحنا، فولى عليها مراد آغا[4] .

ورغم الهجمات المتتالية لفرسان القديس يوحنا عليها إلا أنهم لم يستطيعوا استرجاعها وذلك لفطنة وعبقرية مراد آغا، فبمركز بمدينة تاجوراء وقام بتحصينها. وقد ساعد بقاء مراد آغا واليا على تاجوراء في دراسة الوضع العام الذي يمهد لتحرير مدينة طرابلس فإضافة إلى محاولاته المتكررة في

[1] نفسه، ص155.

[2] إتوري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، المرجع السابق، ص62.

[3] شارل فيرو، المرجع السابق، ص87.

[4] إتوري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، المرجع السابق، ص63.

استعادة المدينة انطلاقا من مدينة تاجوراء التي مثلت منطلق العمليات العسكرية ضد الحامية الإسبانية بطرابلس[1].

وبعد وفاة خير الدين بربروسا سنة 1546م تولى من بعده درغوث باشا، الذي استطاع في شهر أوت 1551م، محاصرة مدينة طرابلس الغرب أكثر من عشرة أيام بمساعدة عثمانية، وبذلك أصبح سقوطها في حكم[2].

ابتداء من يوم 18 جويلية 1551م، تجمع الأسطول التركي في شرقي البحر الأبيض المتوسط وكان مؤلفا من 150سفينة[3]، وركب فيها 17 ألف جندي، و600 فارس[4]، وكان سنان باشا القائد الأعلى لهذا الأسطول، فاحتل غوزو وانتزعها من الفرسان، ومنها اتجه إلى طرابلس التي وصلها في الفاتح من أوت ون السنة نفسها، وارسل إلى حاكم المدينة "فايبر" يطلب تسليم المدينة دون دماء لكنه رفض مما خلق له عصيانا داخل قلعته.

في يوم 9 أوت بدأ الهجوم العثماني على طرابلس، واستمر القصف المدفعي أسبوعا كاملا، ولما أدرك "فايبر" أن الهزيمة لا مفر منها، اتجه إلى سنان باشا رفقة أحد مساعديه للتفاوض فكبله سنان باشا بعد أن رفض دفع تكاليف الخسائر الحربية، وأرسل مساعده لإنذار الناس في المدينة بأن أي محاولة للمكابرة منهم سيكون مآلها الفشل ومصيرهم التقتيل، ولذا عليهم أن يفتحوا أبواب المدينة أمام الجيش العثماني. وأرسل مناديا ينادي حول الأسوار بالأمان لكل من ألقى سلاحه واستسلم، فخرج جنود الفرسان المذعورون وألقوا بسلاحهم، وفي يوم 14 أوت 1551م فتحت أبواب المدينة، ودخل سنان الفاتح وجيشه، وفي المقدمة مراد آغا ودورغوث باشا، ووفى لهم سنان بما وعد، ورفع عنهم القتل، ووهب لهم أرواحهم وأموالهم.

وفي يوم 16 أوت 1551م، احتفل بفتح طرابلس الغرب احتفالا بهيجا بانتهاء الاحتلال الإسباني وفرسان القديس يوحنا نهائيا، لتدخل في طاعة الدولة العثمانية، وسمح سنان باشا للفرسان يوم 18 أوت بمغادرة المدينة والسفر إلى مالطا على متن سفن فرنسية[5].

---

[1] خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص70.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص158.

[3] نفسه، ص159.

[4] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص302.

[5] ابن غلبون، المصدر السابق، ص161- 162.

ملخص الفصل

يمكننا القول: أن الحكم في الفترة التي عاشتها طرابلس الغرب في بداية الفتح العربي، لم يكن إسلاميا تحثا، وبعد ثبوت العرب أخذت الدعوة الإسلامية في الاستقرار والانتشار، وصار الحكم في طرابلس الغرب يتولاه العرب تارة والبربر تارة أخرى. فكان لا يخلو من صلات تربط بين الحاكم والمحكوم: إما الجنس والوطن والدين إذا كان الحاكم عربيا، وإما الوطن والدين إذا كان الحاكم بربريا، وإما الجوار والدين إذا كان الحاكم تونسيا.

فقد توطدت جذور الحكم العربي الإسلامي فيها في ظل الخلفاء الراشدين بعد فتحها على يد عمرو بن العاص، وبعدها في ظل الحكم الأموي والعباسي، وحكم الدول المستقلة ، كالأغالبة والفاطميين والصنهاجيين ، وكان آخرهم الموحدون والحفصيون . ولم تزل طرابلس الغرب في تقلبات وثورات، فلا تخمد فتنة حتى تقوم أخرى. وقد عاشت فترة استراحت فيها البلاد واستتب الأمن والاستقرار بها، ونمت الثروة وكثر المال واستمر الرخاء. وفي هذه السنة 1510م وقعت طرابلس الغرب تحت حكم الإسبان، الذين ظلوا يحكمونها حتى عام 1530م، أين تنازلت اسبانيا عنها نظرا لانشغالها بمشاكلها في أوروبا، حيث منحها الإمبراطور شارل الخامس لفرسان القديس يوحنا، وظل حكمهم إلى غاية 1551م، أين أفلح الأتراك في شن هجوم على هؤلاء الفرسان بعد استنجاد أهالي طرابلس الغرب بالدولة العثمانية، فجاءهم بذلك أسطولا بقيادة سنان باشا ودرغوت باشا، ومراد آغا، وتم تحرير طرابلس سنة1551م وضمها إلى الدولة العثمانية.

الفصل الثالث: طرابلس الغرب بعد الحكم العثماني من خلال كتاب التذكار

المبحث الأول: السيطرة العثمانية على طرابلس الغرب

أولا: طرابلس الغرب ولاية عثمانية 1551م

ثانيا: الهجوم العثماني على طرابلس الغرب

المبحث الثاني: العهد العثماني الأول 1551– 1711م

أولا: ولاية مراد آغا

ثانيا: ولاية درغوت باشا

المبحث الثالث: عهد الأسرة القرمانلية 1711– 1835م

أولا: تأسيس الأسرة القرمانلية

ثانيا: النزاع الأسري وسقوط الأسرة القرمانلية

المبحث الأول: السيطرة العثمانية على طرابلس الغرب

أولا: طرابلس الغرب ولاية عثمانية 1551م

لما تفاقم الوضع على أهل طرابلس واستفحل أمر ما نزل بهم من فتنة الإسبان [1]، وبعد أن أدركوا عجزهم أجمعوا على ضرورة مراجعة الدولة العثمانية وطاب المساعدة منها [2]، وقد أكدوا ذلك عندما قاموا بإرسال وفد من تاجوراء [3] إلى السلطان سليم الأول (1520-1566م)، يطلبون مساعدته لتحرير بلادهم من الإسبان، وما إن تولى السلطان سليمان القانوني عرش الدولة العثمانية في عام 1520م، حتى شمل طرابلس الغرب بإهتماماته الأولية عن طريق تقديم العون والمساعدة لسكان تاجوراء إيفاء لطلب الوفد الذي كان قد إلتقى مع والده السلطان سليم الأول [4]. فأجابهم وأرسل إلى طرابلس مراد آغا[5] على رأس وحدة عسكرية[6].في طرابلس الغرب وقد استقبله سكانها بكل بكل حفاوة وترحيب، ثم بدأ مراد آغا النظر في أمور البلاد وترتيب أوضاعها [7]. فيقول ابن غلبون: "وقام مراد آغا في بادئ الأمر بمناوشات يقصد منها عدم تمكين فرسان القديس من الحشد

---

[1] أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، ط 2، طرابلس الغرب، ليبيا، د.س.ط، ج1، ص186.

[2] القمري صبرينة وبابية يمينة، الأسرة القره مانية بطرابلس الغرب (1711- 1835م) وأثرها الداخلي على ليبيا، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر، تارخ حديث ومعاصر، إشراف: د. بلبالي عبد الكريم، جامعة أحمد دراية، أدرار،2016- 2017، ص21.

[3] تاجوراء: مدينة تقع إلى الشرق من طرابلس، على مسافة 18كم على شاطئ البحر، تحيط بها واحة خصبة، لها منياء ضغير يتسع لإيواء عدد من المراكب، وسورها يحميها من هجمات الأعداء، وقد حولها مراد آغا إلى حصن صغير منيع يرقب منها عاصمة طرابلس الغرب. أنظر: كوستانزيو برنيا، طرابلس من 1510 إلى 1850م، ت. خليفة مُحَمَّد التليسي، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع، ط1، بنغازي، 1985م، ص36.

[4] د. رايحه مُحَمَّد خضير، دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني 1555م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، كلية الآداب، المجلد6، العدد2، جامعة الموصل، 23-24 ماي 2007م، ص110.

[5] مراد آغا: مسيحيا من مواليد راجوزا اسره القراصنة في صباه ونقل إلى القسطنطينية، وختن، كان جميلا وسيما، قدمه سيده إلى محظية السلطان سليم الأول التي عشقته وأحبت أن يكون قريبا منها، وعملت له عملية الخصاء ليبقى في القصر مع الحريم، وقد أمضى معها 5 أو 6 سنوات من الرفاهية والراحة، ولما ماتت سيدته آلت إليه ثروة طائلة، وأصبح حرا، انصرف إلى العمل العسكري وتميز بالشجاعة والإقدام، فصار قائدا لإحدى السفن، عينه خير الدين بربا روس حاكما على تاجوراء. أنظر: كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص36. أنظر أيضا: ابن غلبون، المصدر السابق، ص157.

[6] مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر- تونس- المغرب- ليبيا)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014م، ص50.

[7] د. رايحه مُحَمَّد خضير، المرجع السابق، ص111.

والتجمع"[1]، ويؤكد مقلاتي عبد الله فيقول: "كما خاض مراد آغا عدة مناوشات"[2].ثم حاصر طرابلس ولم يتيسر فتحها بما لديه من العساكر [3]، فأرسل إلى السلطان العثماني يطلب منه المدد لتنفيذ عملية الهجوم على طرابلس الغرب، وقبل أن تصله مساعدات السلطان [4]، قام بتأسيس حصن صغير منيع يرقب منها عاصمة طرابلس الغرب، وفي عام 1543م قام مراد آغا بضم مسلاته وترهونة، وفي العام التالي ضم غريان وبني وليد [5]. وكان في نفس الوقت يطلع إستنبول عن أوضاعه ويحثها على ضرورة الإسراع بإرسال المدد لأن الفرسان يسرفون في التقتيل والاضطهاد بالمساعدات الإسبانية[6].

فيقول ابن غلبون: "وفي أثناء ما كان طورغورد باشا يقوم بعملياته الحربية في الشمال الإفريقي كان مراد آغا في طرابلس في انتظار نجدة الأسطول التركي" [7] . ودعمه في هذا الطلب درغوث باشا [8] باشا[8] الذي كان مطلعا على أوضاع ليبيا وعلى أهميتها الإستراتيجية في المتوسط، وقيل أن سكان طرابلس ترجوا درغوث باشا وهو مار إلى تونس باستعادة بلدتهم من النصارى [9]، ومن خلالها توجه درغوث باشا إلى القسطنطينية، وأوضح للسلطان على ما يجري في طرابلس، وازاء توضيح درغوث للوضع أمر السلطان بعد التشاور مع ديوانه في القسطنطينية الريس سنان باشا [10] بتجهيز الأسطول والتوجه إلى طرابلس الغرب لقتال الفرسان[1].

---

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص157.

[2] مقلاتي عبد الله، المرجع السابق، ص22.

[3] أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي، المصدر السابق، ص188.

[4] د. رايحه مُحَمَّد خضير، المرجع السابق، ص111.

[5] كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص36.

[6] القمري صبرينة وبابية يمينة، المرجع السابق، ص21.

[7] ابن غلبون، المصدر السابق، ص159.

[8] درغوت باشا: ولد في أسرة فقيرة، في إحدى القرى الصغيرة، من الأناضول، كان عصاميا صنع حظه وسمعته، اشتغل في البداية بحارا تحت التدريب ثم بحارا محترفا، ثم مدفعيا ممتازا، ثم تولى قيادة مركب "غليون" ، ومكنته شجاعته وخبرته من التعرف على خير الدين، الذي تعلق به وتجاوز به جميع الرتب المتقدمة عليه في قيادته وعينه نائبا له. أنظر: كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص37.

[9] مقلاتي عبد الله، المرجع السابق، ص50- 51.

[10] سنان باشا: يذكر أنه من أصل ألباني وكان أبوه يعمل فلاحا في منطقة دبرة، في حين تشير بعض المصادر أنه كان إيطاليا نصرانيا واسمه "سيبون سيكالا" وقع في أسر الأتراك فأسلم وحسن إسلامه، وقد أراد البابا كليمنصو الثامن إعادته إلى النصرانية عن طريق بعض أقرباءه ولكن فشل، فلجأ إلى إغرائه بالمناصب فقد عرض عليه في رسالة تعثها إليه عام 1503م منصب ملكا على البلاد التركية التي يفتحها بشرط تحوله وتحول أهل تلك البلد إلى العقيدة الكاثوليكية، ويذكر أيضا بأنه إذا ثار على السلطان يكون

فيقول ابن غلبون: "تجمع الأسطول التركي في شرق البحر الأبيض المتوسط وكان مؤلفا من 150 سفينة وأسندت قيادته إلى سنان باشا وفي 18 يوليو سنة 1551م، ظهر هذا الأسطول الضخم أمام مالطة وكان طورغود في هذه الحملة"[2]

ويقول الأستاذ أحمد سالم في كتابه: "كان الأسطول العثماني مكون من 120 سفينة شراعية عثمانية أسلمت قيادتها لسنان باشا القائد العام للأسطول العثمانل وكان يسانده في ذلك الريس درغوت بسفنه الخاصة التب بلغت 50 سفينة، وبذات المعركة بين جيش العثماني والحامية المالطية في طرابلس عام 1551م"[3]. ويقول كوستانزيو برنيا في كتابه: "يتكون أسطول سنان باشا من 112 سفينة ضخمة و52 من المراكب كما كان الجيش مكونا من 12 ألف: ثلثاه من الإنكشارية والثلث الباقي من المحاربين والصناع، و600 فارس بخيولهم، وكميات من المؤونة والعتاد اللازم للحصار...ظهر أمام مالطا في 16 يوليو 1551م".ولما وصل أصيب بدهول أمام تحصينات العظيمة التي أقامها الفرسان، ونشأ في البداية نوع من الخلاف بينه وبين درغوت الذي أظهر له سهولة الإستيلاء عليها، وحين علم سنان باشا أن "أندريا درويا" في وجهته إلى طرابلس لمساعدة الفرسان اكتفى سنان باشا بمهاجمة جزيرة جوزو التي تركها المرشد الأكبر دون دفاع تقريبا، وأسر منها نحو سبعة ألاف من المسحيين، أقلعت بهم السفن التركية نحو طرابلس[4].

فيقول ابن غلبون: "وفي14 رجب سنة958هـ/ 18 يوليو سنة 1551م، ظهر هذا الأسطول الضخم أمام مالطة وكان طورغود في هذه الحملة وخوفا من أن يقبضي احتلال مالطة كلها وقتا طويلا

الإمبراطور وملك إسبانيا وجميع ملوك المسيح ظهراء له، إلا أن البابا خاب أمله في ارتداد سنان باشا عن الإسلام، قدم سنان باشا إلى الدولة العثمانية تحت نظام الدوشرمة العثماني، ولمهارته تدرج في مناصب الدولة، أصبح في عهد السلطان القانوني (جاشنكير باشي)، ثم ترقى إلى (مير لواء)، (أميرال)، (واليا على مصر)، (قائد الجيوش العثمانية)، (وزير ديوان) وغيرها، اتصف بالقسوة والعناد وهذا ما عرضه إلى الوقوع ببعض الأخطاء التي أدت به إلى النفي في بعض الأحيان (3مرات)، توفي في 13 أفريل 1596م ودفن في استنبول. أنظر: د. رايحه مُحَمَّد خضير، القائد العثماني سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس (1568-1574م)، مجلة جامعة تكريت للعلوم، كلية الآداب، المجلد18، العدد1، جامعة الموصل، كانون الثاني 2011م، ص352-354.

[1] كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص40- 41.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص159.

[3] أ. أحمد سالم، سيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2011م، ص134.

[4] كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص41- 42.

نظرا لمناعتها فقد اكتفى سنان باشا باحتلال قوزو إحدى جزر مالطة في 26 رجب، واقلع عنها الأسطول قاصدا أطرابلس" [1] ، في الوقت الذي حاول فيه فرسان القديس يوحنا استنجاد أوربا لمساعدتهم ضد هذه الحملة، فإن أحدا لم يستجب لهم بسبب اقتناعهم بعدم جدوى ذلك [2]، كما توسطوا لدى السفير الفرنسي في الدولة العثمانية السنيور "دارمونت" الذي كان يمر بمالطا من أجل إقناع سنان باشا بالعدول عن خطته، وافق السفير على ذلك واتجه إلى طرابلس الغرب [3]. كان سنان باشا في ذلك الوقت منشغلا مع مراد آغا و درغوت باشا بوضع الخطط اللازمة للهجوم على طرابلس الغرب، واتفقوا على فرض حصار على المدينة قبل اقتحامها. فوجه إنذار إلى حاكم طرابلس "جاسباري دي فالبير" دعاه فيه إلى الاستسلام وتسليم المدينة مقابل الحفاظ على حياته وحياة فرسان مالطا. وهدده في حالة عدم استجابته بإبادة جميع المدافعين عن القلعة، لكن الحاكم رفض الاستسلام[4]، قائلا أنه يفضل الموت على الاستسلام [5]. فيقول ابن غلبون: "ونزل سنان باشا على تاجورة حيث يقيم مراد آغا، وأرسل سنان باشا رسولا عربيا يحمل علما أبيض ومعه رسالة إلى الفرسان يطلب منهم أن يسلموا المدينة، ويعدهم بأن يبقي على حياتهم وأوالهم" [6] . وفي أثناء ذلك وصل السفير الفرنسي إلى طرابلس الغرب والتقى بسنان باشا، الذي استقبله باحترام كبير ثم عرض السفير الفرنسي طلبه على سنان باشا متوسلا باسم مالك فرنسا صديق سلطان سليمان القانوني [7]، لكنه لم يحصل على شيء مما أراد وقد تعلل سنان بالأوامر المحددة الذي تلقاها من السلطان سليمان القانوني والتي يجب عليه أن يتقيد بها وينفذها. وألح عليه دارمونت مبديا استعداده للتوجه إلى السلطان، لكن سنان باشا منعه من مغادرة المدينة أثناء الحصار [8]. وهذا ما جاء في كتاب التذكار لابن غلبون أنه، لن يجد سنان في هذه الوساطة ما يبررها واعتذر للسفير بأنه مأمور من قبل السلطان

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص159.

[2] د. رايحه مُحَمَّد خضير، دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني 1555م، المرجع السابق، ص121.

[3] كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص42.

[4] د. رايحه مُحَمَّد خضير، دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني 1555م، المرجع السابق، ص121.

[5] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص209. أنظر أيضا: شارل فيرو ، المرجع السابق، ص92.

[6] ابن غلبون، المصدر السابق، ص159.

[7] د. رايحه مُحَمَّد خضير، دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني 1555م، المرجع السابق، ص121.

[8] كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص42- 43.

باحتلال طرابلس وطرد الفرسان منها، وصدرت أوامر سنان بعدم مغادرة سفير فرنسا خوفا من إتصاله بالآستانة لعرقلة أعماله[1].

ثانيا: الهجوم العثماني على طرابلس الغرب

بدأ القصف من قبل الجيش التركي في 9 أوت 1551م، حيث كانت المدافع بلقى على المدينة والأسوار بقنابلها وتقدمت المدفعية ونصبت في نقطة لا تبعد عن القصر بأكثر من 150 مترا[2]، وهذا ما جاء به ابن غلبون في كتابه: "في 9 أغسطس سنة 1551م صدرت الأوامر إلى الجيش التركي بالهجوم، وأطلقت المدافع على الأبراج والأسوار وقصر الحكومة، وأحرزت المدفعية نجاحا فتقدمت ونصبت على مسافة 150م من قصر الحكومة"[3]. وسرعان ما بدأت معنويات فرسان مالطة بالانهيار بسبب القوة النارية الكثيفة التي استخدمها العثمانيون في قصف القلعة بالمدفعية وإحداث أضرار شديدة بسورها كما عان المحاصرون من قلة المياه داخل القلعة، وسوء مذاقها، كما كانت حالات عصيان وتمرد، واشتباه في الخيانة بين الجند المدافعين [4].وبعد يأس فرسان مالطة من التصدي للعثمانيين اضطر الحاكم إلى عرض الاستسلام، فأرسل مندوبين من إسبانيا أحدهما يدعى "غيفار" وبصحبته فارس آخر من جزيرة ميورقة فعرض على القبطان سنان باشا تخلي الفرسان على المدينة شريطة المحافظة على أفراد الحامية، وأن يتعهد بنقلهم سالمين إلى مالطا أوصقلية فوق مراكب تركية، في بداية الأمر لم يوافق سنان باشا على التفاوض فقط بل صرح قائلا أنه يرغب زيادة على ذلك أن تتحمل جماعة الفرسان جميع نفقات الحرب[5].

فلم يرضى فرسان القديس يوحنا بهذا الشرط لعدم وجود المال الكافي لتغطية مطالب الباشا، فزاد خوف الجنود المحاصرين واشبدت ثورتهم بعد أن فشلت عمليات التفاوض مع الأتراك[6].

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص160.

[2] د.عمر محمد الباروني، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، مطبعة الباجي، طرابلس ليبيا،1952م، ص132.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص160.

[4] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص210.

[5] شارل فيرو، المرجع السابق، ص96.

[6] د.عمر محمد الباروني، المصدر السابق، ص133- 134.

واستمر الضرب والتقدم نحو القصر والأسوار ودعي سنان باشا دي فالييرا الحاكم لتفاوض معه، فتوجه إليه صحبة أحد الفرسان، لم يلبث أن كبل بالأغلال ونقل إلى أحد المراكب وعاد الفارس المرافق إلى القلعة ينقل شروط الاستسلام[1].

وأما ابن غلبون فقال في كتابه "التذكار": "وطلب سنان باشا فالييرا حاكم المدينة للتحدث إليه مشافهة في شأن الصلح، فخرج إلى الباشا ومعه أحد مساعديه، وعرض عليه سنان، إما أن يدفع الخسارة الحربية، أو يأسر جميع الفرسان وبيعهم في الأسواق لرد نفقات الحرب، استاء فالييرا من قوله يبيعهم في الأسواق، فخرج عن صوابه وأغلظ في القول، فأمر سنان باشا بحجزه، وأرجع مساعده إلى المدينة لينذر من فيها بالفناء إذا ما توانوا في فتح الأبواب وتسليم المدينة[2].

حاولوا المقاومة أكثر واعتصموا بالقلاع والأسواق التي باتت لا تحميهم بسبب الخراب الذي حل بها وأرسل سنان باشا مناديا ينادي قرب الأسوار بالأمان لكل من ألقى سلاحه واستسلم، واغتنم جنود الفرسان هذه الفرصة وفتحوا الأبواب[3].

في يوم 14 أغسطس فتحت المدينة والقلعة أبوابها للأتراك وقد جرد الجميع باستثناء المدافعين عن الحصن الذين كان بوسعهم الخروج بكل ما يقتضيه الشرف العسكري، أما الجنود المرتزقة لقد كان مصيرهم الأسر والإسترقاق وأما العرب الذين كانوا في خدمتهم فقد قتلوا واستطاع بعضهم أن يلود بالفرار قبل الاستسلام[4].

واحتفل الأتراك بانتصارهم يوم 16 أغسطس عند الخندق المقابل لخراب القلعة وشارك هذا الحفل السفير الفرنسي السنيور "دارمونت" وسكرتيره، وحضره أيضا المارشال فالييرا الوالي السابق [5]، وفي المساء أضاء الأسطول التركي الأنوار احتفالا بهذا النصر[6].

---

[1] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص210.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص161.

[3] د.عمر مُحَمَّد الباروني، المصدر السابق، ص135. أنظر أيضا: ابن غلبون، المصدر السابق، ص161.

[4] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص210- 211.

[5] د.عمر مُحَمَّد الباروني، المصدر السابق، ص136. أنظر أيضا: ابن غلبون، المصدر السابق، ص162.

[6] د.عمر مُحَمَّد الباروني، المصدر السابق، ص136. أنظر أيضا: إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص211.

وفى سنان باشا بما وعد فأذن للفرسان بالسفر إلى مالطا يوم 18 أغسطس على سفن تحمل الراية الفرنسية[1]. وحيا القافلة المقلعة بطلقات من المدفعية [2]، أما ابن غلبون فقال: "وسافروا من طرابلس يجرون أذيال الهزيمة، مشيعين باللعنات"[3]. ولم يترك الفرسان في طرابلس سوئ الخراب وأخبار تلك الفظائع والمجازر[4].

وبعد أن تم الإستيلاء وتوطدت أقدام الأتراك على هذا الساحل إقلع سنان باشا من طرابلس بالسفن والجنود بعد أن قلد ولاية طرابلس الغرب لمراد آغا مدى حياته[5].

وبذلك تخلصت طرابلس الغرب من حقبة مظلمة من الاحتلال الإسباني، وابتدأت مرحلة جديدة من تاريخها، أطلق عليها اسم العهد العثماني الأول.

المبحث الثاني: العهد العثماني الأول 1551– 1711م

أولا: ولاية مراد آغا

بعد خلاص طرابلس الغرب من فرسان مالطا واستقرار الأمور بها، وقبل مغادرة سنان باشا لها عهد بولايتها إلى مراد آغا، على الرغم من أنه كان قد وعد درغوت ريس بهذه الولاية [6]. وذلك نتيجة

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص162.

[2] د.عمر محمد الباروني، المصدر السابق، ص136.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص162.

[4] نفسه، ص162.

[5] د.عمر محمد الباروني، المصدر السابق، ص137.

[6] د. رايحه محمد خضير، دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني 1555م، المرجع السابق، ص122.

نتيجة لمؤامرة حيكت ضده فأسندت الولاية إلى مراد آغا [1]. وقد واجه في بداية عهده مشاكل عديدة كان أبرزها العمل على إعادة تعمير المدينة وتنشيط الحياة العامة في البلاد، بعدما تعرضت له من أضرار فادحة خلال العهد الإسباني وعهد مالطا [2]، فقال ابن غلبون: "وكانت طرابلس قد عمها الخراب من جراء الحرب وإهمال الفرسان شأنها، فشغل مراد آغا بتعميرها، وجلب لها كثيرا من السكان من تاجورة، ومن المهاجرين الذين تركوها أيام الإسبان...وشجع الناس على الزراعة والصناعة، وإنشاء البساتين واستثمار الأرض...وأخذت الحياة تدب في جميع مرافقها" [3]. كما قام بتحويل الكنيسة التي خصصها فرسان مالطا باسم القديس "ليوناردو" إلى مسجد [4]، وقد اهتم بتقوية البلاد من الناحية الدفاعية لصد أي هجوم مباغت [5]، حيث كان من الواجب له الحذر من نوايا الأهالي الطرابلسيين الذين ظلوا أثناء الحرب بين النصارى والأتراك مجرد متفرجين غير مبالين، وكان له كذلك التحرز من إمكانية قيام فرسان مالطا بعودة هجومية مفاجئة، والواقع أن هذه الاحتياطات قد هيأت السلامة لمدينة طرابلس الغرب[6].

فقد بقيت زوارة[7]. تحاول التخلص من نفوذه فلم يتركها مراد آغا تسترسل في ذلك، واضطرته ظروف عنادهم إلى أن يغزوهم بجيش فيه نحو 3600جندي، وحاصرها في أغسطس 1552م[8].

وقد قام الإسبان وفرسان مالطا بمحاولات متكررة لإسترجاع طرابلس الغرب، فقد وجه فرسان مالطا حملة عسكرية إلى مدينة زوارة التي تقع على مسافة 120كم غربي طرابلس الغرب، ففي 6

[1] شارل فيرو، المرجع السابق، ص107.

[2] خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص76.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص163.

[4] كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص53.

[5] عمر علي بن إسماعيل، إنهيار حكم الأسرة القرمانية في ليبيا 1795- 1835م، مكتبة الفرجاني، ط 1، طرابلس، ليبيا، 1966م، ص23.

[6] شارل فيرو، المرجع السابق، ص107.

[7] زوارة: هي مدينة من مدن طرابلس المشهورة، يسكنها أخلاط من العرب والبربر، وهي تقع على مرحلتين منها إلى الجهة الغربية وهي من مواطن البربر المختصة بهم في طرابلس، وهي على البحر، ولها ميناء ذات أهمية. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص281.

[8] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المصدر السابق، ص 305. أنظر أيضا: ابن غلبون، المصدر السابق، ص163.

أغسطس 1552م غادرت الحملة الميناء (مرسى موشتو)، وكانت تتكون من ست عشر قطعة بين صغيرة وكبيرة، ويبلغ عدد أفراد الحملة ثمانمائة جندي، منهم ثلاثمائة لسلاح القذائف وخمسمائة من المشاة للسلاح الأبيض بالإضافة إلى 308 من الفرسان تحت قيادة لافليته وجويمارنس نائبه، وصلت الحملة بعد يومين، وأرغمها هياج البحر والرياح العاصفة على البقاء في عرض البحر، ولم تتمكن من النزول إلى البر إلا في يومي 13 و14 أغسطس[1].

أما الذي جاء به ابن غلبون في كتابه: "وقد اتفق أن فرسان القديس جهزوا أسطولا فيه ست عشرة سفينة، عليها ألفا جندي لغزو زوارة، لأنها بعيدة عن المدينة، وظنوا أن نفوذ مراد آغا لم يصلها، ووصل جيش الفرسان زوارة في اليوم 5شعبان 959هـ"[2].

أما إتوري روسي يقول في كتابه: "وقد قامت فرقة بحرية مؤلفة من اثني عشر مركبا بقيادة أسقف كابوا (ليوني ستروتزي)، وكانت السفن تحمل فوق ظهرها ثلاثمائة وثمانية من أعضاء هيئة الفرسان، بالإضافة إلى ألف من الجنود، وقد غادرت مالطا يوم 12أغسطس إلى ساحل بربريا، وفي ليلة 13 تمت عملية النزول بزوارة"[3].

وقد قام بعض المستطلعين المتنكرين بعمليات استطلاعية في المنطقة، وقد ابلغوا عن وجود مجموعة كبيرة من الخيام والنيران في أحد الوديان القريبة، مما يوحي بوجود جيش مرابط بالموقع، إلا أن القادة استهانوا بهذا القول ولم يعبئوا به، وبادروا بالهجوم على زوارة دون أن يتخذوا الاحتياطات اللازمة، وقد تم الاستيلاء على زوارة في وقت قصير وبدأت عمليات النهب، غير أنهم فوجئوا بمهاجمة الجيش التركي بقيادة مراد آغا، وتعرضت الحملة المالطية إلى خسائر فادحة[4]، وتركت في ميدان القتال القتلى عددا كبيرا من القتلى والفرسان والجنود الإيطاليين والمالطيين[5].

[1] كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص54.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص163.

[3] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص217.

[4] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص217. أنظر أيضا: كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص55- 56.

[5] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص217.

إذ تعدو هذه الحملة الفاشلة التي قام بها فرسان مالطا ضد زوارة أهم الأحداث التي تميز بها العهد القصير لولاية مراد آغا [1]، وهذا ما أكده ا بن غلبون في قوله: "ولم يحدث في أيام مراد آغا غير هذا الحادث الذي اعتبره الفرسان أقسى عليهم من حادث جزيرة رودس"[2].

وفي الوقت الذي كان مراد آغا يقاوم في زوارة، كان دورغوت باشا يجوب مياه البحر الأبيض المتوسط، وفي سنة 1552م،توغل بغاراته البحرية حتى سواحل كالابريا، وجمع غنائم كبيرة وعددا من الأسرى، واستولى على سبعة مراكب تابعة لأندريا دوريا، وبعد أن نقل هذه الغنائم إلى طرابلس الغرب في أغسطس 1552م توجه إلى القسطنطينية ليقدم تقريرا إلى السلطان سليمان القانوني، وكان درغوت يتطلع إلى ولاية طرابلس الغرب فبادر إلى تنبيه السلطان إلى شيخوخة مراد آغا وتقدمه في السن وأنه لم يعد قادرا على ضبط الأهالي وإخضاعهم لطاعة الإمبراطورية. فاستطاع أن يقنع السلطان بهذه المبررات فعينه واليا على طرابلس الغرب[3].

ويقول ا بن غلبون: " في أغسطس 1552م، سافر درغوت إلى الآستانة ليقدم إلى الجهات المختصة تقريرا عن أعماله البحرية السنوية. واغتنم فرصة وجوده في الآستانة، فسعى للحصول على ولاية طرابلس لدى السلطان سليمان القانوني، وذكر له من شيخوخة مراد آغا وضعفه عن الإدارة، وعجزه عن الاحتفاظ بالسلطة التركية في طرابلس. ما رآه السلطان مبررا لاختياره لهذا المنصب، بدلا من مراد آغا"[4].

امتثل مراد آغا لأمر تعيين طرغوت واليا على طرابلس الغرب وسلمه مهام الحكم وشؤون البلاد، وانسحب إلى تاجورة وأنشأ مسجده المشهور ، وغد استعان في بناءه إلى ثلاثمائة من الأسرى النصارى[5]. ولقد وعدهم بإطلاق سراحهم إذا ما شيدوا المسجد على أحسن طراز وبأسرع وقت، وأوفى بوعده وأرسلهم إلى أوربا تقديرا لخدماتهم. وتوفي مراد آغا بعد مضي ثلاث سنوات من الانتهاء

[1] كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص57.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص163.

[3] د.عمر مُحَمَّد الباروني، المصدر السابق، ص142. أنظر أيضا: كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص57.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص164.

[5] خليفة مُحَمَّد التليسي، المرجع السابق، ص77.

من تشييد الجامع وذلك حوالي سنة 1555م[1]، قبر مراد آغا إلى جانب المسجد من الجنوب الشرقي في حجرة منفصلة عن المسجد وعليه قبة[2].

ثانيا: ولاية درغوت باشا

تولى الريس درغوت إمارة طرابلس الغرب وإليه نسب توطيد الحكم العثماني فيها، حيث عمل في بادئ الأمر على مد سيطرته على المناطق الداخلية لكن الأمر لم يجري بسهولة [3]، بسبب الأسلوب العسكري الذي انتهجه درغوت باشا في إدارة شؤون البلاد وهو أسلوب لم يألفه سكان الولاية من قبل وعليه ثار كل من سكان غريان وترهونة وابن الوليد، إلا أنه تمكن من إحباط تمردهم [4]، وإنهاء الفوضى والشغب، ولاحق القبائل الثائرة، كما أمن الطرق وقضى على اللصوص المتشردين في مختلف مدن الولاية ونظم الجيش وفرض رقابة شديدة على الانكشارية [5]، ومنع الجباة من أتباع الظلم لسلامة الأهالي ومراقبة الانكشارية من التطاول على سكان المدينة، وأقام لهم ثكنات خاصة بالقرب من القلعة وحدد لهم أوقات تجولهم في الأسواق [6]، ورغم الظروف الحربية التي كانت تواجهه وتوزع جهوده بين إخماد الفتن والثورات الداخلية ومواجهة التحديات المسيحية الخارجية فقد استطاع درغوت باشا أن يجد الوقت في تجميل المدينة و تطويرها [7]، كان بين يديه ثلاثة ألاف من الأسرى النصارى استخدمهم في إعادة تشييد ما كان الإسبان فد هدموه في السابق، وشيد مسجدا وجعل به ضريحا كي يدفن به بعد وفاته، أمر بتشييد البناء المعروف باسم "سراي درغوت"، وعمل على استقطاب السكان الجدد إليها [8]، كما شجع الفلاحة والزراعة ونشط التجارة [9]. ووجه اهتماما كبيرا إلى تحصين

[1] شارل فيرو، المرجع السابق، ص108.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص165.

[3] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص170.

[4] شارل فيرو، المرجع السابق، ص110.

[5] الانكشارية: أصلهم من شعوب الدول البلقانية وأوربا الوسطى، كان الأتراك يأخذونهم أطفالا ويربونهم في المعسكرات والقصور تربية إسلامية، ويدربونهم على الجندية والحرب، وقد اشبركوا في كثير من الفتوحات والمعارك، وأبدوا فيها شجاعة فائقة. أنظر: راسم رشدي، المرجع السابق، ص93.

[6] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص170.

[7] خليفة مُحَمَّد التليسي، المرجع السابق، ص79.

[8] شارل فيرو، المرجع السابق، ص110-111.

[9] راسم رشدي، المرجع السابق، ص92.

المدينة، فقد قام بتدعيم الأبراج وأنشأ برج عرف باسم "برج درغوت"، وأنشأ دار البارود كما قام بتعديل أوضاع السور الغربي للمدينة[1]

ويقول ابن غلبون: "تسلم طورغود مهام الحكم في طرابلس، ومازالت في حاجة إلى إصلاح ما أفسده الإسبان وفرسان القديس من أسوارها وأبراجها، وما زالت كذلك في حاجة إلى تشجيع الزراعة وإحياء الصناعة وإنعاش التجارة، وإيجاد الأيدي العاملة التي قلت بسبب الحروب الطويلة، وإسعاف السكان بما يرفه عنهم شظف العيش"[2].

وبعد أن أمن وضع البلاد تابع درغوت باشا نشاطه البحري في البحر المتوسط بحيث ظل يشكل تهديدا خطيرا لفرسان القديس يوحنا بما يقوم به من غارات بحرية على السواحل الأوروبية والتي يحصل منها على الكثير من الأسرى والغنائم[3]. فينفقونها على إصلاح المدينة ودفع رواتب الجند[4].

ويقول ابن غلبون: " كان يعتمد في جل نفقاته على الغنائم التي يأتي بها الأسطول في غزواته على البلاد الأوروبية"[5].

وقد شغل وضع الوسط والجنوب التونسي، فبدأ بإخضاع تونس، والقضاء على الزعامات المحلية، وفي ديسمبر 1556م زحف على قفصة فاستقبله الأهالي كمحرر لها، ثم توجه إلى جربة واستولى عليها، وترك على قلعتها أولوج علي (علج علي)، وفي سنة 1557م زحف على القيروان[6]. وهكذا استطاع توطيد نشاطه في كامل الجنوب التونسي وتقوية الحزام البري حول طرابلس الغرب

[1] خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص79.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص165.

[3] الطاهر أحمد الزاوي، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، 1970م، ص156.

[4] راسم رشدي، المرجع السابق، ص92.

[5] ابن غلبون، المصدر السابق، ص165.

[6] أحمد سالم، المرجع السابق، ص 136. أنظر أيضا: إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص221.

وعلى السواحل التونسية[1]، وشهدت ولاية درغوت باشا محاولة فرسان القديس يوحنا الاستيلاء على طرابلس الغرب من جديد[2].

حملة جربة 1560م

بعد انتهاء الحرب بين فرنسا واسبانيا وجه ملك إسبانيا أنظاره إلى مناطق الشمال الافريقي بسبب قرصنة بعض سفنه ونهب سواحل بلاده، فكلف "جيوفاني ديك وردونا" بإعداد حملة ضد طرابلس الغرب سنة 1560م، وهي مؤلفة من جيش لعدة دول أوروبية [3]، وكانت الحملة مؤلفة من ثلاثين لواء من المشاة الإسبان بقيادة "دون الفار ودي ساندو"، وعهد إلى "اندرياجونزاكا" بقيادة فرقة عسكرية إيطاليا مؤلفة من خمس وثلاثين فرقة وأربع عشرة فرقة ألمانية، وفرقتين من المشاة الفرنسيين وأربع عشرة فرقة من الفرسان، وستمائة مقاتل من سلاح المدفعية، في حين كان الأسطول مؤلفا من ثمان وعشرين سفينة وأربع عشرة سفينة صغيرة وخمسين سفينة من غالييرا (سفينة كبيرة) بقيادة "اندريادوريا"، كما ساهم البابا بأربع سفن والفرسان بخمسة سفن، ومئونة تكفي لمدة أربعة أشهر، انطلق الأسطول الضخم نحو طرابلس الغرب، وقد توقف في 10أفريل 1560م في مياه بالو الضحلة قرب جربة، وفي هذا الوقت كان درغوت قد غادر طرابلس الغرب نحو جربة عن طريق البر، فوصلها وأقام في ضواحي الجزيرة بجيشه المكون من ألف جندي تركي، ومائة فارس وعشرة آلاف من الأهالي، وأخذ يضايق الجنود المسحيين الذين كانوا يحاولون النزول ألى البر، فقد كلفت هذه الإشتباكات الجيش المسيحي بضعة مئات من الموتى، فقرروا العدول عن الحملة والهجوم على طرابلس، وتوجيه الهجوم إلى جربة[4]. وفي 2 مارس رست الحملة في جربة، وفي اليوم السابع منه نزلت كل الجيوش التي استطاعت السيطرة على القلعة وإعدادها للدفاع[5].

حالما علم الريس" درغوت "بوصول الحملة ،جهز أسطولان حربيا ثم توجه برا نحو جربة للإتحاد مع الأهالي من أجل الدفاع من طرابلس. ثم باشر بإقامة التحصينات والاستحكامات. في حين

[1] أحمد سالم، المرجع السابق، ص136.

[2] عمر علي بن اسماعيل، المصدر السابق، ص23.

[3] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص171.

[4] كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص61.

[5] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص224.

كلف" علج علي "بالذهاب إلى استنبول لطلب المساعدة. فأمر السلطان "بالي باشا" قيادة الأسطول العثماني والتحرك لمساعدة درغوت ضد الهجوم الاسباني، توجه الأسطولان أمام الشواطئ الطرابلسية ودار بينهم شباك بحري انتهى بهزيمة الأسبان، فقد كانت حصيلة المعركة إقامة برج من جماجم الأسبان مقربة من قلعة جربة، والذي سمي في مبعد ببرج الجماجم[1].

وبعد هذا الانتصار انشغل درغوت باشا في تعمير وتحسين طرابلس الغرب، فبعد أن اطمأن على الولاية أمنا وإدارة وتنظيما توجه إلى أستنبول للحصول على بعض الامتيازات من السلطان وبوصوله سأله السلطان عن سبب العصيان القبلي في ولايته فكان رد" درغوت باشا "قائلا: "انه من العسير يا سيدي التغلب على شعب ينقل بمدينته ويحملها على ظهره". ومن إجابة درغوت باشا يفهم أن معظم سكان ولاية طرابلس الغرب بدو رحل فهم ينتقلون بخيامهم ومواشيهم من مكان إلى مكان، ولهذا يصعب السيطرة عليهم وهذا ينتج عنه عدم الهدوء والاستقرار[2].

وقد استمرت سياسة الإسبان في الضغط على السلطان العثماني من خلال تشجيع غارات فرسان مالطا، ما دفع السلطان العثماني إلى التفكير بغزو مالطا في سنة 1565م، صمم السلطان العثماني بتوجه حملة ضخمة ضد الفرسان وكلفها بطردهم من جزيرة مالطا واقتلاعهم منها، فقد أسندت قيادة الجيش إلى السردار مصطفى باشا، والأسطول تحت إمرة بيالي باشا، ولكن السلطان أوصى قواده كثيرا بأن يسلموا قيادهم لخبرة درغوت باشا ومهارته عند التحاقه بالحملة على مالطا. وكانت الحملة تتكون من مئتي قطعة بحرية، وخمسين ألف رجل، وقد وصلت أماما الجزيرة في 18ماي 1556م، وفي يوم 28 ماي وصل علج علي قادما من الإسكندرية، وفي 30 ماي وصل درغوت باشا قادما من طرابلس على رأس ثلاث عشرة قطعة وغليوطين وألف وأربعمائة مسلح[3]. وصلت حملة في أوائل أفريل سنة 1565م، وأحاطت بالجزيرة ،ونظرا لمتانة حصونها وقوة أسوارها ومقاتليها، فشل الأتراك حتى في دخولها وتعرض أسطولهم للدمار ومن فيه من جنود[4]، واستمر الحصار لمدة ثلاثة أشهر راح ضحيتها خمسة وثلاثين ألف رجل من بينهم الريس درغوت باشا في حين فقدت ولايات الشمال

[1] محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط 2، د.م.ن، 1982م، ص272. أنظر أيضا: محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص172.

[2] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص173.

[3] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص230.

[4] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص173.

الإفريقي ما يزيد على خمسة عشرة ألف رجل، وباستشهاد درغوت عمل الأسطول على فك الحصار عن جزيرة مالطا، وتم نقل جثمان درغوت باشا إلى طرابلس حيث دفنوه في مسجده في الرابع والعشرين من جوان 1565م[1].

ويقول ابن غلبون: "أرسلت الحكومة العثمانية سنة 972هـ، أسطولا كبيرا إلى مالطا وحاصرها حصارا شديدا، وطال حصاره لها، وكان طورغود في طرابلس فاستنجدوا به، فذهب إليهم في اثنتي عشرة سفينة واشترك معهم في حصار مالطا، واشتدت المعارك بين الطرفين، ولم يمكن التغلب على حصون مالطا، واستشهد طورغود في إحدى المعارك سنة 973هـ وجيء بجثته إلى طرابلس، ودفن في تربة خاصة، وما زال قبره معروفا يزار باعتباره أحد الشهداء ومن أكبر المجاهدين"[2].

وبعد وفاة درغوت باشا تعاقب على حكم طرابلس الغرب العديد من الولاة كان أغلبهم لا هدف له إلا تحقيق منافعه الشخصية فكسدت التجارة وكثر الظلم، وأرهق كاهن المواطنين بضرائب وسيطر الجند على زمام الأمور في البلاد فلم يعد لواليها أي نفوذ أو سلطان [3]، حيث كانوا يفرضون الولاة أحيانا على السلطان ويعزلونهم أو يقتلونهم [4]. ويؤكد ابن غلبون ذلك في قوله: " وتغلب الجند على أمر البلد فلم يكن لواليها من قبل السلطان تصرف، واضطرب أمرها، وفسد نظام الملك وكثر الهرج في الرعية"[5].

فغدت إمرة الأمراء مجرد لقب خالي من مضمونه ومحتواه، ولقد كانت السلطة العثمانية تكثر من تغيير ولاتها في طرابلس الغرب، شأنها في ذلك الشأن باقي ولايات الدولة، وذلك خشبة أن ترسخ أقدام الوالي في الولاية فيفكر في الانفصال عن دولة، ولدى فقد تعاقب على طرابلس الغرب عدد كبير من الولاة [6]. ويذكرهم ابن غلبون صاحب كتاب "التذكار" فمنهم يحي باشا، وسليمان داي،

---

[1] جان كلود زليتنز، المرجع السابق، ص190.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص167.

[3] عمر علي بن اسماعيل، المصدر السابق، ص28- 29.

[4] راسم رشدي، المرجع السابق، ص93.

[5] ابن غلبون، المصدر السابق، ص175.

[6] د. شوقي عطاالله الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح العربي إلى الوقت الحاضر (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب الأقصى)، المكتب الأنجلو المصري للتوزيع والمطبوعات، ط1، القاهرة، 1977م، ص131.

وشريف باشا، ورمضان داي، ومُحَمَّد باشا الساكسلي،.... [1]. وقد ترتب على هذا التغيير المستمر في الولاة على إضعاف نفوذهم من جهة، وازدياد نفوذ جنود الانكشارية واستبدادهم، فاضطر الولاة لاسترضائهم فاعتبروا أنفسهم طبقة ممتازة فاضطرب الأمن في البلاد، وكثرة الفتن والقلاقل الداخلية[2].

فقد تفاعلت هذه العوامل جميعها فكانت اللبنة الأولى في أساس قيام الأسرة القرمانلية، حيث سئم الأهالي الاضطراب و الخوف وعدم الطمأنينة على الأموال والأعراض[3].

المبحث الثالث: عهد الأسرة القرمانلية (1711– 1835م)

إن البداية الحسنة للعهد العثماني الأول في طرابلس الغرب لم يكتب لها الاستمرار، حيث بدأت تجري عدة أحداث تدل على ضعف الدولة العثمانية وانهيار تنظيماتها الإدارية والعسكرية عقب وفاة الأمراء العظام، فازداد الصراع على السلطة والتنافس على حكم البلاد، وكل ذلك كان عبارة عن

[1] ابن غلبون، المصدر السابق.

[2] د. شوقي عطاالله الجمل، المرجع السابق، ص132.

[3] عمر علي بن اسماعيل، المصدر السابق، ص32.

إرهاصات وتفاعلات حقيقية لخروج عهد جديد يبشر بالأمن والاستقرار، إذ أن ظهور الأسرة القرمانلية[1] كان نتيجة حتمية بدون تخطيط على يد مؤسسها أحمد باشا القرمانلي[2].

أولا: تأسيس الأسرة القرمانلية

1.ولاية أحمد باشا القرمانلي

أحمد قرمانلي من مواليد مدينة طرابلس الغرب، وأصل أسرته من مدينة فرمان بالأناضول [3]، وقد تولى أحمد قرمانلي عدة مناصب عسكرية في ليبيا، وكان قائد المنشية أيام ولاية خليل باشا، واستطاع بسياسته أن يتقرب إلى الجنود والشخصيات البارزة في البلاد، ولما وصلت الأحوال في طرابلس الغرب في أواخر أيام خليل باشا إلى درجة كبيرة من الفوضى [4]، وحدث صدام بين بعض العساكر، أجبره على الهروب إلى مصر [5]، ولما شعر خليفته في الولاية محمود أبي أميس بما يتمتع به أحمد القرمنلي من نفوذ[6]، قرر أن يتخلص منه ليرتاح من خطره[7].

حيث يروي لنا صاحب كتاب "التذكار" هذه الواقعة فيقول: "وبايع الناس أبا مويس على ضغينة من فعلته، فأقام خمسة وعشرين يوما، وأرسل مولانا أحمد بن يوسف قرمانلي إلى غريان ليغدر به هناك، لما توسم فيه من النباهة والصلاحية للملك دونه، فاتفق البلد على صلاحيته، فرجع قبل

---

[1] الأسرة القرمانلية: أسرة تركية الأصل من مدينة فرمان الواقعة جنوب الأناضول في آسيا الصغرى، جاء الجد الأكبر أثناء قدوم سنان باشا لتحرير طرابلس الغرب من الفرسان سنة 1551م، وكان مصطفى باشا الجد الأكبر من جملة الجنود الذين أمر سنان باشا بإبقائهم، فاستقر في منطقة المنشية، ومارس التجارة وتمكن من امتلاك مزارع وتزوج من فتاة طرابلسية الأصل واندمج مع أهالي المدينة، وصل يوسف والد أحمد باشا إلى رتبة باش آغا فرسان الساحل والمنشية في عهد والي طرابلس الغرب خليل باشا، وخلفه في هذا المنصب ابنه أحمد الذي استطاع أن يكون لنفسه ولأسرته ملكا وراثيا مستقلا عن الدولة العثمانية دام 125سنة. للمزيد أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص241. أنظر أيضا: رود لفوميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، تر: طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس،ليبيا، د.س. ص(ى).

[2] عمر علي بن اسماعيل، المصدر السابق، ص32.

[3] نفسه، ص32.

[4] د. شوقي عطاالله الجمل، المرجع السابق، ص133.

[5] محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، تر: عبد السلام أدهم ومُحَمَّد الأسطى، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1970م، ص159.

[6] د. شوقي عطاالله الجمل، المرجع السابق، ص133.

[7] عمر علي بن اسماعيل، المصدر السابق، ص33.

وصوله إلى غريان لما فهم من خدعه إياه، فلما قدم البلد بايعه أهل البلدين: الساحل والمنشية، ولم يتخلف عن بيعته أحد لما جبل عليه من الرقة واللطف"[1].

فبعد عودته إلى مدينة طرابلس الغرب في 27 يونيو 1711م، وإذا بالأهالي والعلماء يختارونه واليا للبلاد[2]. فيقول ابن غلبون: "كانت بيعته ضحوة الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة سنة 1123هـ/1711م، وقيل حادي عشر الشهر المذكور، فلما أحس بذلك محمود أقام يومه ذلك متهيئا للحرب، ثم في ليلة الأربعاء قام الشريف حسونة عليه من داخل المدينة وقبض عليه، ودخل القلعة صبيحة الخميس الثالث أو الخامس عشر من الشهر المذكور، فظن أنه يستقل بالأمر، وفتحت أبواب المدينة، فقبض على الشريف المذكور وقت العصر من ذلك البوم، ودخل أمير المؤمنين القلعة في ذلك اليوم"[3].

ولم يمضي أسبوع على اختياره حتى قدم خليل باشا في أسطول من القسطنطينية ومعه فرمان سلطاني في إعادته إلى ولاية طرابلس الغرب، فيقول ابن غلبون: "وفي 21 من هذا الشهر، قدم خليل باشا في أسطول من قبل السلطان واليا"[4].

فلما منعه أحمد باشا من النزول توجه إلى زوارة ونزل فيها[5]، فخرج أحمد قرمانلي لقتاله، وتقابل وتقابل الجيشان في مدينة صبراته، وانتهت المعركة بانتصار أحمد قرمانلي، وقتل خليل باشا في أغسطس 1711م[6]، فيقول ابن غلبون: "وأراد الدخول، فحضر العلماء والرؤساء من أهل الوطن بين بين يدي أمير المؤمنين، وأجمعوا على منعه من الدخول فامتنع، وأقلع إلى جهة الغرب في ثمانمائة مقاتل ونزل بزوارة، واسكنوه وانزلوه بها، وبعث إلى الأعراب فقدم عليه ابن نوير ومن تابعه على الفساد...وزحف خليل بمن انضم إليه من الأعراب حتى نزل زواغة، فجند له أمير المؤمنين عسكره،

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص240.

[2] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص209.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص245. لزيادة أنظر: نفس المرجع، ص280- 281.

[4] ابن غلبون، المصدر السابق، ص281.

[5] راسم رشدي، المرجع السابق، ص93.

[6] عمر علي بن اسماعيل، المصدر السابق، ص35.

ووافته خيله المرتزقة والمتطوعة والتقى الفريقان بزواغة، فانكشفت الحرب عن خذلان خليل، وقتل بزواغة (وهي مدينة قديمة المسماة بصبرة)"[1].

وبعدها جهز أحمد باشا القرمانلي وفدا إلى إسطنبول مزودا بهدايا للسلطان وطلب من الوفد التوصل إلى إقراره واليا للبلاد، واطلاعه على الأحوال الصعبة في البلاد، وشرح الأسباب التي دفعت بأحمد قرمانلي إلى نقل السلطة إلى يديه، كما عهد الوفد تبرير مقتل خليل باشا في المعركة، وذلك نتيجة لكراهية السكان له[2]. فيقول ابن غلبون: "توهم أمير المؤمنين إيقاع أهلها شرا بينه وبين صاحب القسطنطينية مولانا خليفة الله السلطان أحمد بن مصطفى بأخبارهم بخلاف ما عليه الناس، إذ مساعدته لخليل إنما كانت لما ادعاه خليل من محبة أهل الوطن له، وانما أخرجه منه قوم بغاة خارجون عن الشرع والنظر الصحيح، فوجه وفدا كبيرهم أحمد بن عثمان، وصحبته هدايا جليلة لحضرة مولانا السلطان...دفع له كتاب الجند وأهل البلاد، وعرفه ما كان عليه خليل المذكور من الفساد..."[3].

ولم يقتصر نشاط أحمد باشا قرمانلي على الاهتمام بالحصول على فرمان توليه من السلطان بل كان يعمل على تثبيت دعائم حكمه في الداخل، فقد رسم خطة جريئة [4]، بخنق وإعدام ثلاثمائة من زعماء الإنكشارية الذي يشك في ولائهم، في مأدبة[5]، وبعث السلطان، مُحَمَّد باشا الشهير بجاتم خوجة خوجة للتحقيق في أسباب مقتل خليل باشا، ولكن أبحاثه لم تسفر عن أي نتيجة [6]، فيقول ابن غلبون: "قدم مُحَمَّد رايس الملقب بـ جانم خوجة باشا من قبل السلطان أحمد، فأكرمه إجلالا لهيبة مرسله، وكان قدومه للخديعة، فأحس منه ذلك أمير المؤمنين فجعل عله رقيبا بعد أن أنزله في بيت معد لمن يأتي من قبل السلطان، وأكرم نزله وبالغ في الإحسان إليه، فبعث طلائعه لبعض أهل البلد

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص281- 282.

[2] نيكولاي بروشين إيليتش، تاريخ ليبيا من منتصف القرن 16م حتى مطلع القرن 20م، تر: د.عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحد، ط2، بيروت، لبنان، 2001م، ص107.

[3] ابن غلبون، المصدر السابق، ص283.

[4] عمر علي بن اسماعيل، المصدر السابق، ص38.

[5] محمود ناحي، المرجع السابق، ص160.

[6] نيكولاي بروشين إيليتش، المرجع السابق، ص108.

ليعينوه على كيده، فوافقه رعاع من أهل البلدة، فأحس بهم أمير المؤمنين وفرقهم شغر بغر، وبالغ في الاحتراس منه إلى أن انقضت أيامه المقدرة لإقامته بالبلد"[1].

فكان على السلطان إلا أن يؤكد بتقليد أحمد باشا ولاية طرابلس الغرب سنة 1712م[2]، وبذلك انتسب له الأمر، وركز جهده بملاحقة حركات العصيان والتمرد، واعتمد في تنظيمه لأمور ولايته على مشاوراته للعلماء والأعيان[3]. حيث عين أخاه الحاج شعبان بك[4] لولاية برقة[5]، وبعد ما اطمئن عن قوته والتزام الجميع لأوامره[6]، فيقول ابن غلبون: "تاق أهل تاجوراء للخلاف، واستدعوا له له غوغاء من أهل ترهونة وبعض أولاد حميد بن جارية، وسرى بهم طيف الخيال، فلما بان له منهم ذلك جند مرتزقة...فلما التقى بهم أمر بأخذ سلاحهم وإيثاقهم، وفرقهم في خيام الجند، وفدم البلد وخيم بقلعتها، وأغرمهم من المال ما أثقلهم أداؤه وارتحل عنها، وولى تغريمهم ذلك صاحب خيله أخاه لأمه الحاج شعبان بك بن يوسف.....أجمعوا أمرهم ومن وافقهم وهجموا على الحاج شعبان بك بالقلعة يريدون قتله، وكان معه طائفة من الجند، فامتنع منهم حتى تمكن من القلعة، وحاصروه بها ورموه بالحجارة وامتنعوا من الأداء. وبلغ خبر فعلتهم تلك أمير المؤمنين، فاستنفر المرتزقة وأعل البلدين الساحل والمنشية، وصبحهم فلم يقووا على حرب ولا دفاع، وأباح أموالهم فنهبت ديارهم ومواشيهم ووثق منهم وقتل"[7]. ويقول ابن غلبون: "وجه صاحب الخيل الحاج شعبان واليا على أهل برقة"[8].

انصرف إلى التعمير وأنشأ في طرابلس الغرب جامعا عظيما يحمل اسمه وألحق به مدرسة لنشر العلم وأوقف عليهما أوقافا كثيرة، كما بني البرج المعروف ببرج "المندريك"[9]، كما ضرب على أيدي

---

[1] ابن غلبون، المصدر السابق، ص282- 283.

[2] عمر علي بن اسماعيل، المصدر السابق، ص37.

[3] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص210.

[4] الحاج شعبان: أخ أحمد باشا القرمانلي من أمه ورفيق صباه، أنجبيته والدته من زوجها الحاج يوسف الذي كان يحمل لقب بك في عهد مُحَمَّد باشا شائب العين، والذي قام بتربية أحمد الصغير كما لو كان ابنه، وكان أحمد القرمانلي يكن أعظم احترام لزوج والدته. أنظر: رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص11.

[5] راسم رشدي، المرجع السابق، ص93.

[6] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص210.

[7] ابن غلبون، المصدر السابق، ص283.

[8] نفسه، ص287.

[9] راسم رشدي، المرجع السابق، ص94.

قطاع الطرق، لضمان سلامة القوافل التجارية عبر الصحراء وبلاد السودان، والمماليك، وإمارات، وغرب إفريقيا، وذلك حتى يعيد الرواج الاقتصادي إلى البلاد، كما حتما على الدول الأوروبية دفع الجزية لضمان سلامة أتباعها، بالإضافة إلى الجزية التي تدفعها القبائل العربية، وضريبة للروس التي تدفع على غير المسلمين، تمثل أهم المصادر الدخل في الدولة، كما اهتم بتدعيم وتقوية البحرية لفرض سلطانها في البحر المتوسط، وهيبتها أمام الدول الأجنبية [1]، وما اتخذه هيأ له فرصة اتخاذ قراراته، بعيدا عن السلطان وفرماناته، وبدأ وكأنه حاكم مستقل، وغير تابع لسلطان ولا سيما بعدما لقب بأمير المؤمنين، وسك نقودا بإسمه[2]، وقام بعقد اتفاقيات ومعاهدات، دون الرجوع إلى السلطان، وحدث أن أن قام برد وساطة السلطان لعقد الصلح مع إمبراطورية النمسا، على أنه تدخل في الشؤون الداخلية للدولة[3]، واستمر أحمد باشا القرمانلي في نهجه الإداري، إلا أنه خفف من مواقفه المعادية للسلطان، ليكسب شرعية توليه إدارة البلاد، وكانت سنوات حكمه تتسم بالعدل، والرخاء الاقتصادي، وتخفيف الضرائب على الأهالي [4]. وهكذا وهب أحمد باشا القرمانلي كل ما يملك حتى بصره، في سبيل بناء مجد دولته، وعندما شعر بعجزه عن تسيير أمور الدولة، ولفقدانه لبصره، عهد بأمور الدولة لإبنه مُحَمَّد[5]، مُحَمَّد[5]، وقد دفعته عزة نفسه، وشجاعته، إلى إطلاق النار على نفسه في 4 نوفمبر 1745م، ودفن في في بمقبرة جامعه جامع أحمد باشا[6].

2. ولاية مُحَمَّد باشا القرمانلي[7]

بوفاة والده أصبح مُحَمَّد باشا واليا لطرابلس الغرب [8]، وفي الأيام الأولى من حكمه، طبق سياسة والده، نفسها الداخلية والخارجية [1]، فوجه جهوده نحو تجديد الأساطيل البحرية، وتقويتها فلما إنتهى

[1] د. شوقي عطاالله الجمل، المرجع السابق، ص134.

[2] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص211.

[3] نيكولاي بروشين إيليتش، المرجع السابق، ص115.

[4] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص211.

[5] عمر علي بن اسماعيل، المصدر السابق، ص41.

[6] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص211.

[7] مُحَمَّد باشا القرمانلي: هو ابن أحمد القرمانلي، تولى الحكم بعد وفاة أبيه، وكثرت الثورات في أيامه، وفي آخر أيامه اعتلت صحته بسبب إدمان شرت الخمر، فاضطربت حياته وتوفي يوم 24 يوليو سنة 1752م، وعمره 45سنة، ودفن إلى جانب والده بمقبرة جامع أحمد باشا. أنظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص313.

[8] محمود ناحي، المرجع السابق، ص161.

من ذلك أرسلها لقتال الأوروبيين وغزو بلادهم، فكانت تعود محملة بالغنائم الوفيرة [2]، فأوقعت سفنه الرعب في مختلف السواحل التي هاجمها، فأسرعت معظم الدول الأوروبية لعقد معاهدا ت، واتفاقيات جديدة، فاضطرت فرنسا لتجديد معاهدة التي عقدتها مع والده سنة 1728م، وتبعتها بريطانيا في ذلك سنة 1751م، وتمتعت طرابلس الغرب، في السنوات الأولى لحكم مُحَمَّد باشا القرمانلي بهدوء أمني، ورفاه اقتصادي، واستقرار إداري، كما ارتبطت مع جيرانها بعلاقات حسنة، وغدا تجارها ينتقلون ضمن مناطق الشمال الإفريقي بحرية تامة، ورفعت الرسوم الجمركية عن البضائع القادمة من ولايتهم.

لم يواظب مُحَمَّد باشا على إتباع الطريق الذي سلكه عند توليه السلطة، وقد دفعه الاستقرار الأمني، وحب الأهالي له إلى ترك أدارة الأمور لأقاربه، وانغمس في حياة اللهو [3]، والإدمان على الخمر فانتهزت الدول الأوروبية هذه الفرصة، فأخذت تمارس نوعا من الضغط عليه وذلك عن طريق استعراض قوة أساطيلها أمام شواطئ مدينة طرابلس الغرب، كما قام بعقد اتفاقية مع إنجلترا، واتبعه بأخرى مع فرنسا، وهكذا ساءت علاقته كثيرا في الدولة العثمانية، حتى أن بعضهم قاموا بثورة للإطاحة بحكمه، ولكنهم فشلوا لعدم تجاوب الشعب معهم، توفي في 24 يوليو 1754م، وخلفه إبنه علي في حكم البلاد[4].

3. ولاية علي باشا القرمانلي

في سنة 1745م تولى علي باشا الحكم، وكانت البلاد تمر بظروف سياسية واقتصادية حرجة، وكانت تتطلب واليا غير علي باشا [5] الذي كان شابا يبلغ من العمر 23 عاما، استطاع زعماء الإنكشارية اللذين أجلسوه على كرسي الحكم أن يسيطروا على شخصيته، وحالوا بينه وبين صرخات المظلومين[6]، وعقدوا المعاهدات مع الدول الأجنبية لقاء إتاوا ت مالية، وصادروا عائدات السفن البحرية، فأكثروا أعدائهم، وفسدت العلاقات مع جيرانهم، وانتهى الأمر بالوالي الجديد إلى تقديم

---

[1] نيكولاي بروشين إيليتش، المرجع السابق، ص120.

[2] راسم رشدي، المرجع السابق، ص94.

[3] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص212.

[4] عمر علي بن اسماعيل، المصدر السابق، ص45- 47.

[5] نفسه، ص47.

[6] رود لفوميكاكي، المصدر السابق، ص90.

التعهد لقائد الأسطول الفرنسي "بوفريمون" بإعدام أي مغامر يقوم بالعنف ضد السفن الفرنسية[1]، ومما زاد الحال سوءا هو تعرض البلاد للجفاف [2]، واجتاحت طرابلس الغرب في سنة 1767م مجاعة فظيعة، وفي صيف 1784م انتشرت المجاعة من جديد، وكانت المجاعة تجر خلفها الطاعون، وقد ظهرت الإصابات الأولى في ربيع 1785م، وقد مكنت هذا الوباء من حصد كثير من الأرواح[3].علاوة على المجاعة الناشئة عن سوء الإدارة وانحراف الموظفين وفوض الضباط وجشعهم، وكذا خيانة أقربائه وعزوف العلماء والأعيان عن التدخل لإصلاح الأمور [4]، ومع الوضع الاقتصادي السيئ السيئ وانعدام الأمن، عجز الباشا على إدارة شؤون الحكم، ودفع رواتب الجند والتجار. مما جعل الصراع يزداد حدة بين أبناء الباشا حسن ولي العهد، وأحمد ويوسف إخوته، وكان يوسف أشدهم رغبة في الحكم وعداءا لأخيه حسن حيث وجد يوسف فرصة للتخلص من أخيه، حينما حاولت والدتهما الصلح بينهما، فقتله بجوار أمه وذلك في 20 يوليو 1790م[5]، وأراد السيطرة على الحكم بعد أن أمن دعم شيخ قبيلة المحاميد خليفة بن غومه المحمودي، وتعهد له بالالتزام بتوجيهاته، ومنحه امتيازات كثيرة[6]. ترك مقتل حسن أثرا عميقا لدى سكان مدينة طرابلس الغرب، فكثر أعداء يوسف، يوسف، كما أعلنت بعض القبائل تخليها عن مساعدته، ففر يوسف إلى قبيلة المحاميد المؤيدة والمناصرة له[7]، عاد يوسف في سنة 1790م إلى إضرام الخلاف مدفوعا بتأييد عرب الضواحي، وتحريض الشيخ الشيخ فحاصر مدينة طرابلس الغرب، وقد ظل طوال العام التالي وقسما من العام الثالث 1793م خارجا على سلطة والده، وقام بعد غارات على أسوار المدينة [8]، ومن أجل إطفاء نار الفتن المشتعلة

[1] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص213.

[2] د. شوقي عطاالله الجمل، المرجع السابق، ص136.

[3] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص362.

[4] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص213.

[5] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص366- 367. أنظر أيضا: عمر علي بن اسماعيل، المصدر السابق، ص50- 53.

[6] محمود ناحي، تاريخ طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص163.

[7] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص216.

[8] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص367.

أصدرت الحكومة العثمانية فرمانا يقضي بتعيين علي باشا برغل الجزائري [1] واليا على طرابلس الغرب سنة 1794م[2]، وبقوة بحرية استولى على طرابلس الغرب، وفر علي باشا القرمانلي وعائلته إلى تونس. تونس. وبمعاونه جيوش تونس استطاعت في سنة 1795م أن تستعيد السلطة وتولي أحمد بك القرمانلي ابن علي باشا قرمانلي ولاية طرابلس الغرب، وعين يوسف قائدا للجيش ووليا للعهد[3]. بقي بقي علي باشا بتونس ثم جاء إلى طرابلس الغرب على ظهر سفينة انجليزية في فبراير، وتوفى في 23 يوليو 1796م[4].

تولى أحمد باشا القرمانلي الثاني الحكم أشهرا قليلة معدودة، لكن الحكومة العثمانية لم تعترف به حاكما على طرابلس الغرب، فقد كان سكيرا منهمكا في ملذاته لا يهتم بشؤون الحكم، ولم يلبث أن عزله أخوه يوسف واستولى على الحكم، وعينه حاكما على بني غازي ودرنة، وفي أثناء سفره إلى بني غازي اضطرته العواصف إلى جزيرة مالطا، ومنها ذهب إلى تونس ورفض المنصب[5]. تولى يوسف باشا باشا القرمانلي أمور طرابلس الغرب، فقام بتغيرات جذرية في أسلوب الحكم لم يشهدها الأهالي سابقا، فقد اعتمد على سياسة الإقناع، وتمكن من نقل البلاد من حالة الاضطراب إلى حالة الاستقرار، وعمل على تعميق صلاته بالدولة العثمانية، وظل كأسلافه ينظر إليها على أنها دولة الخلافة الإسلامية[6]، كما قام بتقوية الأسطول وتحصين الميناء [7]، أما في ما يخص الجانب الإداري كان كان نفسه الذي سار في فترة العهد العثماني الأول ولم تطرأ عليه أي تغيرات جذرية في عهد الأسرة

[1] عرف علي باشا الجزائري: لأنه عاش فترة طويلة بالجزائر، تولى منصب رئيس البحرية، كما كلف بمنصب وكيل الخارج بالجزائر (المختص بالشؤون البحرية)، وقد طرد من المدينة في فبراير 1793م، لما ارتكبه من فظائع لاتباعه الرشوة والإساءة للأهالي، جمع ثروة عظيمة، وانتقل إلى إستنبول وساوم الحكومة بأمواله، وحصل على الفرمان السلطاني بتعيينه واليا على طرابلس الغرب، وبعد فشله في الحصول على الأرز من مصر، اضطر إلى إطعام عساكره البرغل لقب بعلي برغل. أنظر: عمر علي بن اسماعيل، المصدر السابق، ص60.

[2] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص217.

[3] د. شوقي عطاالله الجمل، المرجع السابق، ص137.

[4] إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص370.

[5] ابن غلبون، المصدر السابق، ص316. أنظر أيضا: إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، المرجع السابق، ص372.

[6] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص221.

[7] د. شوقي عطاالله الجمل، المرجع السابق، ص137.

القرمانلية، وكانت له معاهدات واتفاقيات كما تمكن من إرغام السويد على أداء إتاوة لطرابلس الغرب سنة 1799م، كما تمكن من محالفة نابليون ضد البرتغال التي كان اسطولها يرمي طرابلس الغرب بالمدافع[1].

ثانيا: النزاع الأسري وسقوط الأسرة القرمانلية

شهدت الفترة الأخيرة من ولاية يوسف باشا القرمانلي عدة اضطرابات داخلية، فقد عادت المنازعات بين أفراد الأسرة القرمانلية بالإضافة إلى اضطراب الأمني[2]، وسوء الإدارة المالية والاقتصادية، واحتكار التجارة من قبل التجار الأجانب، وكان الشيء الأكثر ضررا لاقتصاد الولاية [3]، إذ توقفت الكثير من الدول الأجنبية عن دفع الإتاوات التي كانت تدفعها لضمان سلامة رعاياها [4]، وكذا الحد من نشاطات السفن الجهادية التي كانت تذر ربحا للولاية، من قبل الدول الأوروبية، ومنع تجارة العبيد، القرار الذي اتخذته هذه الدول في المؤتمر الذي عقد سنة 1819م[5].

ضعف نفوذ أحمد باشا الثاني، وقلة إرادته مما اضطره من الاستدانة من بعض رعايا الدول الأجنبية خصوصا إنجلترا وفرنسا [6]، بفوائد فاحشة، والذي زاد الطين بلة الانهيار الاقتصادي، عندما طلب أرباب الديون تسديد الديون التي حلت مواعيد سدادها [7]، فاضطر إلى فرض المزيد من الضرائب على السكان، لسداد هذا الدين، وغير ذلك من النفقات[8].

انتشرت الثورة وروح التذمر في مختلف أنحاء البلاد، حتى الأقاليم والمدن الهامة مثل: (ثورة الشيخ عبد الوافي في غريان، والشيخ أحمد سيف النصر في سرت) [9]. واقتفت قبائل نالوت، وجبل نفوسة

---

[1] أحمد بن الحسين النائب الأنصاري، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، ت: د.مُحَمَّد زينهم مُحَمَّد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994م، ص45.

[2] د. شوقي عطاالله الجمل، المرجع السابق، ص139.

[3] علي مسعود البلوشي، تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي (1551- 1911م) (نشأة ونمو وتطور أنماط الليبية)، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2007م، ص47.

[4] د. شوقي عطاالله الجمل، المرجع السابق، ص139.

[5] علي مسعود البلوشي، المرجع السابق، ص47.

[6] راسم رشدي، المرجع السابق، ص98.

[7] محمود ناحي، تاريخ طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص168.

[8] راسم رشدي، المرجع السابق، ص98.

[9] د. شوقي عطاالله الجمل، المرجع السابق، ص139.

أيضا إثر هاتين وتجاسروا على رفع راية العصيان، إلا أن بعد الحروب المديدة بين العساكر الذين بعثهم يوسف باشا بقيادة ابنه أحمد بك وأبو القاسم بن خليفة بن عون المحمودي، أمكنه من استعادة الأمن والاستقرار، أما ثورة الجبل الغربي فلم تخمد بسهولة المعتادة كما لم يتردد عبد الصمد في إثارة الفتن في ترهونة[1]. وقد جاء في كتاب التذكار "فاختل توازن الدولة المالي من كثرة النفقات، وصعب على الأمراء كبح جماح هذه الشهوات المندفعة التي لا تقف عند حد. فاضطرت الحكومة إلى الاستدانة لتنفيذ رغبات الأمراء، فاستدانت من الأهالي واليهود، والرعايا الإنجليزية والفرنساويين وأسرفت في فرض الضرائب على الممتلكات والتجارة حتى ضج الناس، واشتكوا فلم تسمع شكواهم، فلجئوا إلى الثورة، فاضطرب حبل الأمن، وتزعم الثورة: عبد الجليل سيف النصر، وعثمان الأدغم، وغومة المحمودي وغيرهم، في فترات من الزمن متتالية، ودامت ثورة غومة عدة سنوات، وكل هذا مما زاد في الضائقة المالية على الحكومة"[2].

وقد اضطر في أواخر سنين حكمه إلى بيع بعض سفنه الحربية، وصهر مدافعها النحاسية وسكها نقودا[3]، لتوفير ما يلزمه من مبالغ لإرضاء رغباته وشهواته، وكذلك اضطر لفرض الضرائب على الأهلي المنشية، ولما علم أهل المنشية ثاروا عليه، وانتخبوا ابنه مُحَمَّد بك واليا[4]. وأدرك يوسف باشا باشا أنه لا يستطيع مواجهة هذه الأحداث فلجأ كعادته لأسلوب المخادعة، وتنازل عن الحكم إلى ابنه علي باشا وبعث برسالة إلى السلطان يشرح له أسباب التنازل لابنه عن الحكم، وسبب الثورات التي عمت الولاية، وادعى في رسالته أن الثوار يطالبون بإلغاء الضرائب والقضاء على النظام العسكري المتبع. واستمر النزاع بين صفوف الأسرة القرمانلية، فانقسمت البلاد إلى قسمين: قسم يؤيد مُحَمَّد بك ويحظى بتأييد أوربي، والقسم الآخر يؤيد علي باشا المدعوم بالعساكر وبعض القبائل القاطنة بجوار طرابلس[5].

كانت الدولة العثمانية تراقب عن كثب ما يجري من تطورات في هذه الولاية، ووضعت خططا لإعادة السيطرة عليها وهكذا وفي حركة دراماتيكية أرسل الأسطول العثماني في 22 ماي 1835م،

[1] محمود ناحي، تاريخ طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص168.

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ص243.

[3] راسم رشدي، المرجع السابق، ص98.

[4] محمود ناحي، تاريخ طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص169.

[5] محمود علي عامر ومُحَمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص232- 233.

تحت قيادة الكابودان باشا الذي وصل إلى طرابلس الغرب، ومعه نحو ستة ألاف من الإنكشارية تحت إمرة مصطفى نجيب باشا، والذي عهد إليه بتسوية الأمور وإنهاء الأسرة القرمانلية وإدارة الولاية وتوطيد الأمن والاستقرار فيها ريثما تصله تعليمات جديدة. ولما رسا الأسطول في ميناء طرابلس، ولما صعد علي باشا القرمانلي إلى السفينة لاستقباله ألقي القبض عليه في 28 ماي 1835م، ووضع حدا لنظام الحكم القرمانلي في البلاد، وتولى الحكم في طرابلس الغرب [1]. وأرسل علي باشا القرمانلي مع بعض أقربائه وأصدقائه إلى استنبول [2]، ومات في الاستانة، أما يوسف باشا القرمانلي فقد مات بعد ذلك بعد أن قضى السنوات الأخيرة من عمره شبه أسير في بيته، وأما مُحَمَّد القرمانلي فقد إنتحر[3]. وفرار أحمد بك إلى مالطا. وبهذا أزيل اسم وأثر الأسرة القرمانلية من أفاق طرابلس الغرب [4]، ورجعت طرابلس الغرب مرة أخرى إلى السيطرة العثمانية المباشرة[5].

[1] علي مسعود البلوشي، المرجع السابق، ص48.

[2] محمود ناحي، تاريخ طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص169.

[3] أحمد بن الحسين النائب الأنصاري، المرجع السابق، ص45.

[4] محمود ناحي، تاريخ طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص170.

[5] علي مسعود البلوشي، المرجع السابق، ص48.

ملخص الفصل

يمكننا القول: أن الفترة التي عاشتها طرابلس الغرب في القرنين16 و17م، عرفت إضطربات سياسية نتيجة الاحتلال الأسباني، ثم طغيان وظلم الفرسان القديس يوحنا، فاستنجد الأهالي بالأتراك الذين استطاعوا ضم طرابلس الغرب إلى السلطة العثمانية المباشرة، وقد عمل الولاة الأوائل على إحداث تطورات إدارية وسياسة وعسكرية، عادة عليها بمكانة دولية في حوض البحر المتوسط، ولكن مع بداية القرن 18م بدأ عهد جديد نتيجة ضعف سلطة الحاكمة.

إن كل انهيار تشهده ولاية طرابلس الغرب، يقابله بروز مرحلة جديدة من الإدارة، وتميزت مرحلة الأسرة القرمانلية بإدارة خاصة مغايرة للإدارة العثمانية السابقة فبداية قيامها تأييد شعبي والتفاف عام حول مؤسسها، ونهايتها ولاة ضعاف، وإدارة عرش ملطخ بالدماء، وصراع أخوي على الإدارة، وولاية فاقدة لمجمل المقومات الاقتصادية والنظم السياسية، وقوى أوروبية تزيد الوضع الداخلي تأزم وتعقيدا، وقوى بشرية محلية تابعة اسميا لسلطان لا يعلم عن أحوال الولاية شيئا، وأهلها تتطلع لمنقذ عثماني أو أوربي على حد سواء. فجاءها المدد من السلطان العثماني، يأمر بإنهاء حكم الأسرة القرمانلية وإزالتها، وبدء مرحلة إدارية جديدة مغايرة للمرحلة السابقة، وإعادة طرابلس الغرب إلى الحكم العثماني المباشر.

الخاتمـــــة

الخاتمـة

في ختام هذه الدراسة التي تناولنا فيها موضوع **"طرابلس الغرب من خلال كتاب التذكار"** واعتمادا على ما جاء في كتاب «**التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**» للكاتب **ابن غلبون** توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات مفادها:

- ❖ يعتبر ابن غلبون المفكر والكاتب والمصلح والشخصية الفعالة، أن له منزلة تاريخية وسياسية جعلته يحظى بمكانة مرموقة عند الحاكم أحمد باشا القرمانلي.
- ❖ عاصر ابن غلبون أحمد باشا القرمانلي مؤسس الأسرة القرمانلية، فكان شاهدا على أحداث فترة حكمها، هذا ما ساعده بأن يكون مؤرخا لتدوين تاريخ حكم أحمد باشا القرمانلي في طرابلس الغرب
- ❖ يعتبر" كتاب «**التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**» لمؤلفه **ابن غلبون** ذا أهمية علمية و تاريخية كبيرة، إذ أنه يعد من أهم وأصدق مصادر تاريخ طرابلس الغرب في عصورها الإسلامية من أول الفتح الإسلامي إلى زمن أحمد القرمانلي.
- ❖ فقد غطى كتاب **"التذكار"** مرحلة مهمة من مراحل التاريخ السياسي لهذه المرطقة، وتطرق إلى معجل التفاصيل والأحداث السياسية التي جرت في طرابلس الغرب من بداية التواجد العثماني الأول في المرطقة إلى غاية حكم الأسرة القرمانلية ومؤسسها أحمد القرمانلي الذي كان من معاصريه ، أما في ما يخص طرابلس الغرب في فترة الحكم العربي فقد اعتمد ابن غلبون في تاريخه على مصادر متنوعة. "ابن خلدون" و"البكري" و"التيجاني" و"ابن بطوطه" من الرحالين ونزهة المشتاق في اختراق الأفاق للإدريسي الجغرافي و "النيساني" في يومياته، وأيضا "ابن عبد الحكم" و"ابن الأثير".
- ❖ نلاحظ في كتاب **"التذكار"** أن هناك نقصا في تاريخ ابن غلبون، تارة في عدم استيفاء بعض الحلقات التاريخية التي يذكرها، وتارة بإهمال بعض الحلقات التي يتوقف عليها التسلسل الزمني للحوادث. ولعل ما يوجد من نقص في بعض الحلقات التي ذكرها فلعله قصد إليه اختصارا، واكتفاء بالبعض عن الكل.

ومن خلال هذه الدراسة لموضوع **"طرابلس الغرب من خلال كتاب التذكار"** توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات نذكر أبرزها:

- إن أول الفتح الإسلامي كان فتح كل من برقة وطرابلس الغرب بحملة عمرو بن العاص.

- استمالة خلفاء الدولة العبيدية للقبائل البربرية الصنهاجية، وأسندوا إليها الأمور المهمة في الدولة، وأهدوا إليهم حكم إفريقية والمغرب. تحت إمارة يوسف بن زيري، المبنية على العنف والقوة.
- أعلن المعز بن باديس الانفصال الكلي ، السياسي والعسكري والعقدي عن العبيديين في مصر، وانضمامه للخلافة العباسية.
- معاقبة الدولة الفاطمية للمعز بن باديس بتسليط القبائل بني هلال وبني سليم عليه. وقد ترتب على هجرة القبائل العربية واستيطانها نتائج خطيرة في منطقة طرابلس الغرب.
- لم تكن العلاقة بين القبائل العربية والسكان الأصليين علاقة وئام دائما، وإنما كثيرا ما تعرضت حياة الفريقين إلى التنافر الذي يؤدي إلى القتال وانتهاز الفرص.الذي سهل في عملية الغزو والاحتلال النورمان. وتمكنوا في ظل هذه الظروف من احتلال طرابلس الغرب وقابس ثم المهدية، وأنهوا بذلك حكم دولة بني زيري. وإسنادها إلى ابن مطروح.
- دام استقرار النورمان بالساحل ما يقارب اثنتا عشرة سنة، وقد ظهرت الانتفاضات وثورات ضدهم في طرابلس الغرب، ودخولها في طاعة الموحدين، و قد ولى عليه ا رافع بن مطروح ، حيث شهدت طرابلس الغرب في عهده الاستقرار.
- ظهور المغامرين قراقش والملثم ابن غنية و اللذان شكلا حلفا ضد الموحدين، وقد التف حولهما، وتحالف معهما العربان، وسقوط طرابلس الغرب تحت أطماعهم. فلقد قضى قراقش نحو أربعين عاما، و ابن غنية نحو ثلاثة وخمسين عاما، في الاعتماد على الأعراب من أجل السيادة.
- إن الموقع الإستراتيجي لطرابلس الغرب عرضها لموجة من الهجومات النصرانية متمثلة في الإسبان الذين سيطروا على المدينة في سنة 1510م. وهو امتدادا لمحاولة السيطرة على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط بعد سقوط الأندلس، كما كانت إسبانيا تطمح إلى تهجير المعمرين المسيحيين إلى طرابلس الغرب وكل سواحل إفريقيا الشمالية حتى تبقى المنطقة تحت نفوذها. الغاية السياسية للملك فرديناند الكاثوليكي هو اكتساب شعبية في العالم المسيحي تمكنه من التفوق على خصمه ومنافسه في فرنسا شارل الخامس في صراعها من أجل الزعامة على العالم الأوربي.
- لم يتجاوز الاحتلال الإسباني لليبيا أسوار مدينة طرابلس الغرب، وقد كانوا عليها أشد من أي وباء، لقد قتلوا وأسروا أو شردوا سكانها وهدموا دورها وحطموا أسوارها وقضوا على نشاطها التجاري وأنهوا عهدا اشتهرت فيه بالثراء والرفاهية.

- ظل الإسبان يركزون احتلالهم على السواحل دون التوغل في الداخل وذلك بسبب الصعوبات وعنف المقاومة المحلية التي كانت تواجههم، وكذا انشغالهم في حروب أخرى في الجبهة الأوروبية، وقوة الأسطول العثماني ونشاط الإخوة بربروس ، ونتيجة لهذه الضغوطات دفعت بالإسبان لتنازل عن طرابلس الغرب لجماعة الفرسان القديس يوحنا الذين حكموا المدينة من سنة 1520م إلى غاية 1551م. وقد كان هذا السلوك من شارلكان، استشرافا لواقعا حربيا لم يعد لصالحه بالمنطقة.
- ظهر مغامرين الإخوة بربروس مدعومين من السلطة العثمانية ونتيجة نجاح نشاطهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط خاصة بعد طرد الأسبان من الجزائر وإلحاقها بالدولة العثمانية بصفة رسمية أوكلت إليها مهمة تحرير طرابلس الغرب، وعلى أثر ذلك تم ضمها كغيرها من المناطق، لتدخل طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني الأول والذي امتد من 1551- 1711م.
- يعتبر عهد مراد باشا ودرغوت باشا من أزهى مراحل الحكم العثماني في طرابلس الغرب، وقد عرفت ازدهارا في العديد من المجالات خاصة الغنائم البحرية وما كانت تدرها من عوائد.
- بسبب الضعف الذي آلت إليه الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني الأول، وتمرد الانكشارية وكثرة الصراعات والتنافس على العرش، ظهرت مرحلة هامة في التاريخ السياسي لطرابلس الغرب حيث شهد ظهور أسرة محلية حكمتها مدة قرن وربع قرن.
- تمكن أحمد القرمانلي من الوصول لحكم طرابلس الغرب. واعتراف الباب العالي بسلطته على المدينة، ونجاح القرمانليين في تحويل نظام الحكم العثماني في طرابلس الغرب إلى حكم وراثي.
- العمل على القضاء على حركات العصيان والتمرد التي قامت ضده.
- حاول أحمد القرمانلي حصوله على دعم و تأييد شيوخ القبائل.
- رغم استقلال الأسرة القرمانلية عن الدولة العثمانية، إلا أنه كان كل باشا قرمانلي عليه أن يحصل عند تقلده الحكم على موافقة ورضا الأستانة (الولاء الاسمي) وذلك بحصوله على الفرمان السلطاني لتضفي على الحكم الشرعية.
- اهتموا بالقضاء على الثورات وتثبيت حكمه في البلاد، واهتموا أيضا بالتجارة الداخلية والخارجية، استطاعوا تكوين جيش وأسطول وولوهما اهتماما كبيرا، واستطاعوا بعد تكوين قوة أسطولهم أن يفرضوا إرادتهم على الدول الأوروبية التي كانت تتخذ من البحر الأبيض المتوسط مجالا لنشاطها التجاري، وقد قامت بعقد معاهدات معهم.

- تميزت علاقة الأسرة القرمانلية بالإيالات المجاورة بالعداء أحيانا، وبالصلح والتعاون أحيانا أخرى، أما بالنسبة لعلاقتها مع الدول الأجنبية كانت ذات صبغة اقتصادية في البداية لتتحول فيما بعد إلى أطماع في السيطرة.
- شهدت طرابلس الغرب في عهد الأسرة القرمانلية تطورا ونشاطا واسعا خاصة في عهد أحمد باشا ويوسف باشا، لكن في أواخر عهده بدأت تشهد الأسرة تطورات انعكست على الاستقرار والأمن السياسي بسبب الصراع والنزاع على الحكم وكثرة الثورات والتمردات.
- الصراعات والانشقاقات تفتك بالأسرة القرمانلية لتنتهي بمقتل ولي العهد حسين باشا على يد أخيه يوسف باشا.
- المغامر علي برغل يستولي على السلطة في طرابلس الغرب، وفرار يوسف القرمانلي إلى تونس، وتدخل تونس عسكريا لطرد علي برغل.
- الاعتماد الكلي على البحر كمصدر أساسي ورئيسي لدخل الولاية، مما سبب ضائقة مالية شديدة خاصة أواخر الحكم العثماني، وفرض الضرائب على الأهالي.
- تنازل يوسف باشا القرمانلي عن حكم طرابلس الغرب لابنه علي استجابة للضغوط الداخلية والخارجية عليه.
- استفحال الصراع على السلطة بين علي باشا القرمانلي وأبناء أخيه، بداية العد العكسي للعهد القرمانلي من تحضير الباب العالي للإطاحة بهم رغم صدور فرمان سلطاني بتولية علي باشا.
- نهاية حكم القرمانليين إثر نجاح أسطول نجيب باشا في احتلال مدينة طرابلس الغرب بتكليف من الباب العالي وعودة الحكم العثماني المباشر.
- لقد كانت الظروف الحرجة التي ألت إليها الأسرة القرمانلية السبب المباشر وراء عودة الحكم العثماني المباشر إلى ايالة طرابلس الغرب بعد قطيعة دامت قرن وربع قرن من الزمن، وقد عدت سنة 1835م بداية العهد العثماني الثاني.

وبهذه الاستنتاجات التي قدمناها يمكن القول في الختام أنه قد حاولنا الإجابة على الإشكالية المطروحة في المقدمة قدر المستطاع وتقديم صورة عن طرابلس الغرب من كتاب "**التذكار**" لإبن غلبون، لأن هذا الموضوع في غاية الأهمية لما يحتويه من أحداث تاريخية لفترات زمنية مهمة عرفت فيها طرابلس الغرب تغيرات وتقلبات كثيرة. وعليه يمكن القول أن هذا الكتاب أثرى المكتبة العربية.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصـادر

1.ابن الأثير (الإمام عز الدين ابي الحسن علي بن مُحَّد الجذري)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن الحزم، ط1، بيروت، 2012م.

2.إدريس الهادي روجي، الدولة الصنهاجية "تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م"، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، ج1.

3.الأنصاري أحمد بن الحسين النائب، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، ت: د.مُحَّد زينهم مُحَّد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994م.

4.الباروني عمر مُحَّد ، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، مطبعة الباجي، طرابلس ليبيا، 1952م.

5.برنيا كوستانزيو، طرابلس من 1510 إلى 1850م، تر. خليفة مُحَّد التليسي، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع، ط1، بنغازي، 1985م.

6.رود لفوميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، تر: طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس،ليبيا، د.س.

7.الزاوي الطاهر أحمد، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، ط3، بنغازي، ليبيا، مارس، 2004م.

8.الزاوي الطاهر أحمد، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدار الإسلامي، ط 4، بيروت، لبنان، 2004م.

9.الزاوي الطاهر أحمد، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دارف المحدودة، ط3، لندن، 1984م.

10. الزاوي الطاهر أحمد، عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط2، بنغازي، ليبيا، 2002م.

11. الزاوي الطاهر أحمد، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد العثماني، دار الفتح، ط1، 1970م،

12. الصدفي ابن يونس، تاريخ المصريين، تحقيق عبد الفتاح فتحي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000 م.

13. الصلابي علي مُحَمَّد، الدولة الفاطمية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط 1، الفاهرة، 1427هـ- 2006م.

14. الطرابلسي ابن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، عني بتصحيح وتعليق الطاهر أحمد الزاوي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، ليبيا، مارس 2004م.

15. الطرابلسي أحمد بك النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، ط2، طرابلس الغرب، ليبيا، د.س.ط، ج1.

16. عمر علي بن إسماعيل، إنهيار حكم الأسرة القرمانية في ليبيا 1795- 1835م، مكتبة الفرجاني، ط1، طرابلس، ليبيا، 1966م.

17. المصراتي علي مصطفى، أعلام من طرابلس، مطبعة ماجي طرابلس الغرب، ليبيا، ط 1، 1955م.

18. المصراتي علي مصطفى، مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجهم عرض ودراسة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 25 أغسطس 1976م.

19. المناوى مُحَمَّد حمدى، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1970م.

20. مؤنس حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية،(د،ط).(د،س،ن).

ثانيا: المراجـع

1.إيليتش نيكولاي بروشين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن 16م حتى مطلع القرن 20م، تر: د.عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحد، ط2، بيروت، لبنان، 2001م.

2.بازامه مُحَمَّد مصطفى، ليبيا في عشرين سنة من حكم الإسبان (1510- 1530)، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1965م.

3.البلوشي علي مسعود، تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي (1551- 1911م) (نشأة ونمو وتطور أنماط الليبية)، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2007م.

4.بن حماد أبي عبد الله مُحَمَّد بن علي، أخبار الملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة: د.التهامي نقرة و د. عبد الحليم عريس، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة، (د. س. ن).

5.بن منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، (د،ط)، 1968م، ج1.

6.التليسي خليفة مُحَمَّد، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للكتاب، ط3، 1997م.

7.الجمل شوقي عطاالله، المغرب العربي الكبير من الفتح العربي إلى الوقت الحاضر (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب الأقصى)، المكتب الأنجلو المصري للتوزيع والمطبوعات، ط1، القاهرة، 1977م.

8.الجيلالي عبد الرحمن بن مُحَمَّد، تاريخ الجزائر العام، ، ط1، الجزائر، 1955م، ج2.

9.حرب مُحَمَّد، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، ط3، دمشق، 2012م.

10. داهش مُحَمَّد علي، الدولة العثمانية والمغرب (إشكالية الصراع والتحالف)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011م.

11. ذنون طه عبد الواحد وخليل إبراهيم السمرائي وناطق صالح مطلوب، تاريخ المغرب العربي، المدار الإسلامي، بيروت، (د،ط)، 2004م.

12. رشدي راسم، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، دار النيل للطباعة، ط 1، القاهرة، 1953م.

13. روسي إتوري، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، ترجمة وتقديم: خليفة مُحَمَّد التليسي، موسسة الثقافة الليبية للتأليف والترجمة والنشر، ط1، طرابلس، ليبيا، 1969م.

14. روسي إتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة: خليفة مُحَمَّد التليسي، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، ط1، 1974م.

15. الزاوي الطاهر أحمد، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1970م.

16. زليتنر جان كلود، طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا 1500- 1795م إفرنجي، ترجمة:جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، مصراتة، 2001م.

17. زيتون مُحَمَّد مُحَمَّد، المسلمون في المغرب والأندلس، (د،د،ن)، (د،ط)، 1990م.

18. سالم أحمد، سيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2011م.

19. سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د،ط)، 1999م.

20. سنوسي يوسف إبراهيم، زناتة والخلافة الفاطمية، شركة سعيد رأفت للطباعة، جامعة عين شمس، ط1، 1986م.

21. السيد محمود، الفتوحات الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د،ط)، 2007م.

22. شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة وتحقيق: د. مُحَمَّد عبد الكريم الوافي، جامعة قان يونس، ط3، بنغازي، 1994م.

23. الشطشاط علي حسين، دارسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار قباء، القاهرة، 2001م.

24. طه رمضان عبد المحسن، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار الفكر، ط1، عمان، 2010م.

25. عامر محمود علي وخير فارس مُحَمَّد، تاريخ المغرب العربي الحديث 2ج، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2000/1999م، ج2.

26. عباس إحسان، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1967م.

27. لقبال موسى، المفرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981م.

28. مخير فارس حمد، تاريخ الجزائر الحديث، مكتبة دار الشرق، ط1، بيروت، 1969م.

29. المطوي مُحَمَّد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط 2، د.م.ن، 1982م.

30. مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر- تونس- المغرب- ليبيا)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014م.

31. ناجي محمود، تاريخ طرابلس الغرب، تر: عبد السلام أدهم ومُحَمَّد الأسطى، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1970م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1.بن زاوي طارق، استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406-454هـ/ 1016-1062م)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط، إشراف: د. رافعي نشيدة، جامعة الجزائر، 2008-2009م.

2.القمري صبرينة وبابية يمينة، الأسرة القره مانية بطرابلس الغرب (1711- 1835م) وأثرها الداخلي على ليبيا، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر، تار يخ حديث ومعاصر، إشراف: د. بلبالي عبد الكريم، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2016- 2017.

رابعا: المقالات والمجلات

1.رايحه مُحَّد خضير، القائد العثماني سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس (1568-1574م(، مجلة جامعة تكريت للعلوم، كلية الآداب، المجلد 18، العدد1، جامعة الموصل، كانون الثاني 2011م.

2.رايحه مُحَّد خضير، دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني 1555م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، كلية الآداب، المجلد6، العدد2، جامعة الموصل، 23-24 ماي 2007م.

3.زاوي أحمد وميادة رشيد، الطاهر أحمد الزاوي وإسهاماته في كتابة تاريخ طرابلس الغرب (1890-1986م)، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المجلد 17، العدد: خاص، جانفي2022 م.

4.عبيد مصطفى، طرابلس الغرب من الاحتلال الإسباني إلى دخول العثمانيين (1510-1551م)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 18، جامعة مُحَّد بوضياف، المسيلة، الصادرة في 2015/09/01م.

خامسا: القواميس والمعاجم والموسوعات

1.الزاوي الطاهر أحمد، معجم البلدان الليبية، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط1، تونس، 1968م.

2.شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، مج1، مج2، مج3، مج4.

الفهـــرس

الفهـــرس

العناويـن **رقم الصفحة**

الإهـداء

التشكـرات

قائمة الاختصارات

المقدمـة **01**

الفصل الأول: التعريف بالكاتب ابن غلبون وكتابه التذكار، ومحققه الطاهر أحمد الزاوي. **09**

المبحث الأول: نبذة عن أبو عبد الله مُحَمَّد بن خليل غلبون الطرابلسي المصراتي **10**

أولا: مولده ونشأته **10**

ثانيا: تعلمه ووظائفه **11**

ثالثا: آثـاره **13**

رابعا: حادثة وفاته **14**

المبحث الثاني: دراسة كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار **17**

أولا: التعريف بالكتاب وأسباب تأليفه **17**

ثانيا: منهج ابن غلبون في كتابه **18**

ثالثا: مضمون الكتاب **19**

المبحث الثالث: الطاهر أحمد الزاوي محقق كتاب التذكار **22**

أولا: نبذة عن الطاهر أحمد الزاوي **22**

ثانيا: آثـاره **23**

ثالثا: تحقيق كتاب التذكار لإبن غلبون **24**

الفصل الثاني: طرابلس الغرب قبل الحكم العثماني من خلال كتاب التذكار 27

المبحث الأول: طرابلس الغرب تحت حكم العربي 28

أولا: أول الغزوات نحو طرابلس: حملة عمرو بن العاص 22هـ -642م 28

1. فتح برقة 22هـ -642م 28

2. فتح طرابلس 22هـ -642م 30

ثانيا: طرابلس الغرب تحت حكم بني زيري خلفاء الفاطميين 32

1. ولاية المعز بن باديس 34

2. دخول العرب افريقية 36

3. ولاية تميم بن المعز 40

4. استيلاء رجار على طرابلس الغرب 43

ثالث المغامرون في طرابلس الغرب 51

1. استيلاء قرقاش علي طرابلس الغرب 51

2. استيلاء يحي بن غانية على طرابلس الغرب 56

المبحث الثاني: طرابلس الغرب تحت حكم الاسباني وفرسان مالطا 59

أولا: النفوذ الإسباني في حوضي المتوسط 59

ثانيا: الحملة الإسبانية على طرابلس واحتلالها 61

ثالثا: العهد الإسباني في طرابلس الغرب 65

رابعا: تحول في السياسة الإسبانية في طرابلس الغرب 67

خامسا: تنازل الإسبان عن طرابلس الغرب إلى فرسان مالطا 69

سادسا: حكم فرسان مالطا في طرابلس الغرب 72

ملخص الفصل 75

الفصل الثالث: طرابلس الغرب بعد الحكم العثماني من خلال كتاب التذكار **76**

المبحث الأول: السيطرة العثمانية على طرابلس الغرب **77**

أولا: طرابلس الغرب ولاية عثمانية 1551م **77**

ثانيا: الهجوم العثماني على طرابلس الغرب **81**

المبحث الثاني: العهد العثماني الأول 1551- 1711م **84**

أولا: ولاية مراد آغا **84**

ثانيا: ولاية درغوت باشا **87**

المبحث الثالث: عهد الأسرة القرمانلية 1711- 1835م **93**

أولا: تأسيس الأسرة القرمانلية **93**

1. ولاية أحمد باشا القرمانلي **93**
2. ولاية مُحَمَّد باشا القرمانلي **97**
3. ولاية علي باشا القرمانلي **98**

ثانيا: النزاع الأسري وسقوط الأسرة القرمانلية **101**

ملخص الفصل **104**

الخاتمـة **105**

قائمة المصادر والمراجع **110**

الفهرس **116**

الملخص **120**

الملخص

الملخص

يرتبط تاريخ ليبيا السياسي ارتباطا وثيقا بالتاريخ العام لشرقي البحر المتوسط وجنوبه ، باعتبارها تمثل جزء هام منه، وقد شهدت ليبيا مختلف المراحل التاريخية وعاشت أهم الحضارات الإنسانية ، ويعتبر العرب أهم من وفدوا إلى ليبيا، فلفتح العربي الإسلامي أشد الفتوحات تأثيرا وأكثرها عمقا وخلودا في ليبيا، فقد توطدت جذور الحكم العربي الإسلامي فيها في ظل الخلفاء الراشدين بعد فتحها على يد عمرو بن العاص، وبعدها في ظل الحكم الأموي والعباسي، وحكم الدول المستقلة ،كالأغالبة والفاطميين والصنهاجيين، الموحدون وكان آخرهم الحفصيون ما بين 1230-1510م.

وفي هذه السنة 1510م وقعت طرابلس الغرب تحت حكم الإسبان، الذين ظلوا يحكمونها حتى عام 1530م، تعرضت خلال هذه المدة إلى العديد من الهجمات التي كان ينفذها المجاهدون من سكان غريان وتاجوراء اللتين أصبحتا القاعدتين الرئيسيتين لمقاومة الأسبان، فضلاً عما كانت تتلقاه من مواجهات من الأخوين عُروج وخير الدين بربا روس اللذان شكلا تهديداً خطيرا لنفوذ الأسبان، تراجع النشاط التجاري في ميناء طرابلس الغرب في ظل الاحتلال الأسباني، وأصبح على الأسبان توفير كل مستلزمات التموين للحامية المقيمة فيها، ويعود ذلك التراجع إلى الضرائب الباهظة التي فرضتها الحامية الأسبانية على السفن التجارية التي تقصد طرابلس الغرب، ونتيجة السياسة التي اتبعتها أسبانيا في طرابلس الغرب، أعلن سكانها تأييدهم للعثمانيين، وبسبب الغارات المتكررة على الحامية الأسبانية، وسوء أوضاعها المعاشية ولانشغالها بمشاكلها في أوروبا، أين تنازلت اسبانيا عنها، ومنحها الإمبراطور شارل الخامس لفرسان القديس يوحنا، وهذا لتعويضهم عن خسائرهم في شرق المتوسط من جهة، ومن أجل كسب الرأي العام المسيحي من جهة أخرى، وظل حكمهم إلى غاية 1551م، أين أفلح الأتراك في شن هجوم على هؤلاء الفرسان بقيادة مراد آغا الذي استنجد بالدولة العثمانية، فجاءه بذلك أسطولا بقيادة سنان باشا ودرغوت باشا، وتم تحرير طرابلس الغرب سنة 1551م وضمها إلى الدولة العثمانية، شمل الحكم التركي طرابلس الغرب، ثلاثة مراحل: مرحلة الحكم العثماني الأول(1551- 1711م)، أول من تولى شؤون طرابلس الغرب مراد باشا والذي لقي تعيينه من طرف الدولة العثمانية، وباشر في أعماله الإصلاحية، وقد خلفه درغوت باشا مما سمح له تأدية الدور المهم خصوصا في المجالين السياسي والعسكري.

لكن بعد وفاة درغوت باشا تولى شؤون ليبيا ولاة ضعاف وسيطرت طبقة الجند الانكشارية والضباط على شؤون البلاد وازداد نفوذهم، وقد تعاقب على طرابلس الغرب عدد كبير من الولاة، وهو ما ميز هذه المرحلة من اضطرابات وإرهاق المجتمع ، بالضرائب والظلم والفساد وقيام العديد من الانتفاضات. ومع حلول القرن 17م بدأ الضعف يدب في كيان الدولة العثمانية ، فضعفت معه علاقة السلطة العثمانية المركزية مع إيالاتها في شمال إفريقيا، وفي طرابلس الغرب، ظهرت حركة استقلالية عن الدولة العثمانية عام 1711م بقيادة أحمد القرمانلي مؤسسا بذلك عهد الأسرة القرمانلية التي دام حكمها إلى غاية 1835م، وقد استمد قوته من تحالفه مع القبائل الليبية التي أجهضت كل المحاولات العسكرية التي أرسلها السلطان العثماني لتنصيب والي تابع لها، مما اضطره إلى الاعتراف بأحمد باشا واليا على طرابلس الغرب ومنحه قدرا كبيرا من الحكم الذاتي، وقد نعمت طرابلس الغرب في عهده بنوع من الاستقرار والاستقلال، بحيث ملكت أسطول قوي، لكن خلفاؤه لم يحافظوا على هذا الاستقرار، إذ خلفه سنة 1745م ابنه مُحَمَّد باشا الذي عرف بالضعف، فساءت الأوضاع وبدأت الاضطرابات في صفوف الأسرة القرمانلية، وسرعان ما انفكت وحدتها ونشب بين أفرادها نزاعات وخلافات مما أتاح الفرصة للباب العالي في التدخل وخلعها سنة 1835م. حيث أرسل السلطان أسطولا بقيادة نجيب باشا والذي وضع حدا للأسرة القرمانلية، وأنهى حكمهم وأعاد طرابلس الغرب تحت السلطة العثمانية، وكان نجيب باشا أول ولاتها.